

روايات مصرية



من وراء الطبيعة

80 م

السطوة والسطاير

(الجزء الأول)

د. أحمد خنيس الرقوي

المقدمة

أنا مرهق فعلاً ..

ظلمت أتكلم عشرين عاماً بلا توقف .. حكيت أشياء كثيرة جداً .
هناك بالتأكيد قصص لم أحكها أو نسيت أنني مررت بها .. هذا
شيء طبيعي لمن عاش حياة كحياتي .. لقد تعبت وأشعر أن
جفني ثقيلاً جداً ، وأن كتفي يزان عدة أطنان ..

يقول لي المؤلف :

— « سوف تواصل الكلام .. »

فأقول وأنا أحك رأسي :

— « لا تستطيع إرغامي على شيء .. أنا أقوى منك في كل
شيء ، وقد برهنت عشرين عاماً على أنني أقوى وأكثر حقيقة
منك .. إن الناس يكفون عن الكلام عندما أدخل قاعة مزدحمة ..
الفتيات الشابات الحسنات يطلبن الزواج مني .. هناك أكثر
من لوحة فنية تمثلني ، رسمها أصدقائي وهناك عدة تماثيل
صغيرة .. أما أنت فمجرد مؤلف ، لا يعبك أحد .. »

يقول المؤلف وقد بدا أن كرامته جرحت :

« سوف نتكلم .. »

« حاول أن ترغمنى .. »

هنا يتحول صوته إلى ما يشبه التسول ويقول :

« لا تكف عن الكلام .. لا أقدر على الحياة من دونك .. لقد

اعتدت أن أكتيك .. »

قلت له متثاقلاً :

« لا أعرف إن كنت أنت قد اعتدت كتابتى أم أنا الذى

اعتدت أن تفعل هذا بى .. لا يهم .. أنا تعبت .. أريد أن

أنا.....الم .. »

أنا الدكتور رفعت إسماعيل ، أستاذ أمراض الدم المتقاعد

وخبير الأشباح وعوالم ما وراء الطبيعة ، ما زال كثيرون

لا يعرفون ما يعتقدونه بصدى ، نصاب أم عالم أم شخص مسل

لا أكثر .. لا أعرف ...

لكنى عشت حياة حافلة ورأيت الكثير ..

يبدو لى أنه ما من مومياء أو شبح أو مكان لعين فى الأرض
كلها لا يعرفنى ، ومن جديد أكرر أن رجل الثلوج الرهيب لو دق
بابى لرحبت به مهلاً . عندما تبتعد عن المستنقع تكتشف أن
مغامرتك فيه لم تكن سيئة جداً ..

أنا د. رفعت إسماعيل سأحكى لكم اليوم قصة أخيرة

إنها أسطورتى الخاصة ..

أنك جنت من المطار تَوًّا .. يمكنني أن أرى قامتك النحيلة
الرشيقة ، وذلك البول أوفر على ساعدك .. الوجه النحيل
النيل الجميل البليل .. تعبير (وجه طويل) يستعمل بمعنى
(وجه حزين) ، وهذا تعبير دقيق فعلاً .. التنورة الكاروهات
المكوتش التي أعشقها ..

ماجى هنا ..

فى الظلام تشعر بالشتيتين الدافقتين على كفك المجددة
المعروقة ، وصوت من ترانيم الملائكة يقول :

— « يا صغيرى العزيز .. ماذا فعلوا بك ؟ .. »

فى 90% من لقاءاتى مع ماجى أسمع هذه الجملة. المرأة
الوحيدة التى لا أخفى ضعفى أمامها .. بل لربما أظهره أكثر
لأنهم بحنان الأمومة الدافق هذا .. لو كانت امرأة أخرى لفردت
عضلاتى ورسمت ابتسامة مستهترة على وجهى كأننى فتوة
السيرك .. سرطان ؟ .. وماذا يهم ؟

قلت بذلك الصوت المبحوح المذبوح الذى صار صوتى منذ
سنة :

تمهيد

ماجى يا ملاكى ..

سامحبنى على ما سأسببه لك من ألم. سامحبنى على حشد
الذكريات الذى سأتكره لك ، وعلى الدموع التى ستسيل من
عينيك الساحرتين فى ليالى الشتاء .

أحب ان أموت فى صمت دون صخب . أحب أن أموت كصرصور
لا يعبأ أحد به. لكنك هنا ، ولم يعد عمل شىء آخر ممكناً ..

فى الثالثة صباحاً سمعت كعبى حذاءيك .. أعرف هذه المشية ،
ثم سمعت اللكنة البريطانية الراقية الممتازة وأنت تتكلمين مع
ممرضة ..

عرفت أنه أنت لأنه لا توجد ماجى أخرى ، وشعرت بخجل
شديد. أكره أن ترينى فى هذه الصورة .. هناك أوغاد فى كل
مكان ويبدو أن أحدهم كره ألا يبرق لك فى إنفرنسشاير . أعرف

— « تمنيت كثيراً ألا ترى هذا المشهد .. »

كنت محاطاً بالأجهزة والخرائط كائن في فيلم خيال علمي .
الإمبراطور الأخطبوط أو ذلك المخ المحفوظ في قارورة زجاجية
ويحكم الفضاء .. رأيتى هي مراراً في العناية المركزة ، لكن
لا بد من أن نعترف بأن الموقف أسوأ من المعتاد هذه المرة ..

لا بأس .. لن أزعج ابداً أنني فقدت صحتي فجأة . لا أذكر
نفسى إلا مريضاً .. حتى في طفولتي كنت أصاب بنزلات شعبية
في كل لحظة ..

لقد صار الوهن والمرض جزءاً رئيساً من حياتي . لهذا
لا أعرف كيف يعيش غير المرضى ، ولا معنى أن تصعد الدرج
دون أن تنقطع أنفاسك ويؤلمك صدرك وتسود الدنيا أمامك . لم
أكل أى وجبة دون نار في معدتي . لم أشم أى شيء دون أزمة
ربوية ...

لم أملك الصحة قط لهذا لا أشعر بفقدائها ..

ماجى !... هل هي حقاً تقترب من عمري ؟.. لم أشعر قط
بذلك وإنما ظلت هي هي كما كانت منذ .. منذ كم عاماً ؟.. هي

لا تشيخ أبداً كأنها الأنهار أو القمر .. بينما أبدو أنا كالرنة
المجففة إذا غمرت في حمض الكبريتيك لمدة أسبوع ، ثم
انتزعوها من قم كلب مسعور ..

صباح اليوم سمعتها تتكلم في الردهة الخارجية ، وهي
لا تعرف أن أذننى حساستان لا تفقدان كلمة ... كانت تتكلم مع د.
منصور أستاذ جراحات الأنف والأذن والحنجرة . كانت تتسائل إن
كان السفر لبريطانيا يمكن أن يفيدنى .. مستشفيات جامعة
(داندى) ..

كان يرد عليها بصوت يحاول أن يجعله خفيضاً .. يقول :

— « هناك ثانويات في كل مكان .. لهذا لم نتواصل الحنجرة .
لم يعد أمامنا سوى العلاج الإشعاعي والكيمائى . هذا هو العلاج
هنا وفي كل مكان في العالم .. »

سلا صمت ثم سمعتها تقول :

— « كم من الوقت ؟ .. »

— « كم ماذا ؟ .. »

— « أنت تفهم .. »

ساد الصمت من جديد ثم قال :

« لا أحد يعرف .. لكننا قريبون جداً .. »

كنت أرمق السقف مفكراً ..

قال لى د. لوسيفر إنه يرى فى داخلى المرض العضال الذى سوف يودى بى ، وقد راق له هذا كثيراً . قال إنه سيرى سيناريو عذابى من جانب النجوم ويستمتع به جداً .. لابد أنه جلب كيساً كبيراً من اللب وعلبة فيشار ضخمة وعدة عبوات من الكولا .. لا شك أن الشياطين جميعاً تحتشد حول أجهزة التلفزيون . المقاهى كلها كاملة العدد فى جانب النجوم ..

لن يمسنى لوسيفر .. الكتاب مربوط بشريط لاصق إلى بطنى ، وقد رفضت بإباء أن أنزع هذا الكتاب بأى طريقة إلا وقت الاستحمام . برغم هذا أعرف أن يوسعى التخلّى عنه .. لوسيفر يفضل أن ينتظر لينعم بعذابى على أن ينهى ألمى بطريقة سهلة ..

يبدو أن كولبى محظوظ .. ألم يقل لى :

« الآن سوف أعلق هذه المشنقة .. وسوف أتدلى من الملاءة جثة هامدة . إنه سوف يأتى من أجلك .. كلاهما آت من

أجلك سواء لوسيفر أو كراولى .. لذا أتصحك أن تفعل مثلى فلا يوجد حل آخر .. ابحث عن ملاءة تتدلى منها .. هذا هو الحل الوحيد صدقتى .. »

سمعت الخطوات الرشيقية ..

رأيت الملاك القادم من الشمال يدخل إلى الحجرة ..

جلست على مقعد جوار الفراش . أدركت بسهولة أن هذا البلب تحت عينها ليس بسبب الأمطار ..

تقاطعت أناملنا وهمست فى لطف :

« للأبد ؟ .. »

تساعلت فى الظلام :

« ماذا ؟ .. »

« ستكون ملكى للأبد ؟ .. »

ساد صمت طويل ، ثم قلت عن غير اقتناع :

« وحتى تحترق النجوم كلها وحتى »

هنا سمعت من يتنحنح .. وإلى الغرفة دخل عزت وكاميليا ..

كان هناك جو من المرح الصناعي المفتعل . أعرف هذا الجو جيدًا .. تقول أنت إن عزت يبدو أكثر سمنة وتضحك في افتعال ، فيقول وهو يضحك في افتعال أكثر أنه يأكل كالحلالييف . فتقول د. كاميليا بافتعال أكثر وأكثر : يا عم ياعم .. لماذا لا تدعونا لنأكل معك ؟ إذن أنت بخيل .. فيتظاهر بأنه لا يسمع الكلام ويقول إحم .. تذكرت أن عندي موعدًا !... إلخ !

طيبا القلب لطيفان .. لكن أهم المتع التى تنتظرني يوم الرحيل هى أننى سأخلص من هذا السخف ..

لتذكر الأرض أننى لم أتحمل الملل والتكرار والشعارات المحفوظة طينة حياتى . أرجو الله ألا يتحقق كابوسى القديم أن يجلبوا رجلاً سخيلاً مملأً ليدفنوه فوقى فى القبر . سوف أصاب بالجنون فعلاً .

لم تكن هناك صعوبات لغوية مع ماجى ... كلاهما يتكلم الإنجليزية نوعاً ويفهمها ، كما أن ماجى تجيد فن إبطاء كلامها كلما قابلت من هو ليس بريطانيًا .. ثم إنها تعرف الكثير من العربية .. لا تنس الأيام التى عاشت فيها فى قرىتي مع أختى ..

* * *

كنت أعرف بالضبط سبب آلام العظام هذه ..

سبب لحظات التوهان وفقدان الوعي ..

إنها الثآويات .. أنا طبيب وأعرف القصة جيدًا .. الورم الخبيث فى حنجرتى يرسل أزهاره وهداياه القاتلة فى كل صوب . إنه مثل دين جديد يحاول أن ينتشر .. لديه أتباع مخلصون فى كل جزء من جسدى .. بعد قليل سيصير جسدى كله مؤمناً وانتهى أنا

فى تلك اللحظات كنت أعيش تجارب كاملة وأخوض مغامرات مدهشة .. سوف أبهرك لو أنك سمعت بعضها لكنى للأسف كنت أصحو ناسياً كل شئ ..

مشكلتى الأخرى التى تعلمتها من حياتى هى أن الغرفة غير خالية .. إنها مزدحمة كأنها حافلة فى وسط القاهرة ساعة الذروة .. لكننا لا نرى . فى قصة شهيرة للأفكرات منح البطل القدرة على رؤية هذه الكائنات عن طريق جهاز خاص ، حتى أنه جن ..

يهنر رأسى ..

هيبه إنه يفقد الوعي !

يميل ..

إنه يغيب .. هل يفعلها في هذه المرة ؟ .. فلنتنظر ولنحبس الأنفاس ..

أرفع رأسي بسرعة مذعوراً ..

للأسف .. لقد صحا ثاتية .. محاولة جيدة . دعونا نعد اللقطة ببطء ..

ويتصاعد الهتاف من مدرجات الشياطين .. كل الشياطين التي مررت بها في حياتي .. يشاهدون الإعادة ويتناقشون حول المشهد . حول أخطاء اللاعبين الآخرين .. لو أحسنوا اللعب لكنت جثة هامدة الآن ..

فقط تدخل الممرضة لتحققني بشيء ما ثم تخرج ..

أنام من جديد ..

أفتح عيني لأرى ماجي تفعل شيئاً ما جوار الفراش .. تنسق علب الدواء . تنسق أزهاراً .. ثم يحل الظلام فأطلب منها

متوسلاً أن تعود للفندق ، فتطلب مني في حرارة أن أظل بخير حتى الصباح ..

أكره نفسي يا ماجي ..

لا أريد أن أعذبك أو أولمك بأى شيء . تمنيت أن تصلك البرقية النظيفة الباردة وأنت في إنفرنسشاير في القصر جوار المدفأة .. كنت ستتهدين في حزن ثم تنسين الأمر برمته. لكنك هنا في الحرب ذاتها .. ليتنى أعرف من الحمار الذى طلب من سيدة الدياجير أن تأتي ..

أنت الآن تعرف القصة .. تعرف أنني كنت أحكى جل ذكرياتي وأنا مصاب بسرطان الحنجرة . وقد توغل هذا الداء الوبيل جداً .. التخبين له ثمن فادح على الأرجح. ربما لهذا لاحظ بعضكم أن صوتي صار مبوحاً مع الوقت ، وأن انتباهي يتشتت كثيراً .. أخطائي صارت بالجملة .. هناك قصص تغير فيها اسم البطل عدة مرات.

هذه التنبئة التى أطل عليها من النافذة .. أوراق نصف خضراء نصف صفراء .. تذكرك بورقة التوت التى تستر بها فينوس

نفسها فى لوحة بوتشيللى الشهيرة .. ما اسمها ؟ اسم النبتة
لا اللوحة .. لكن لو سألت أحداً لاتهمونى بالجنون ..
فى الفراش لا تسلية لى إلا القراءة والكتابة ..

جلب لى عزت بعض الأوراق والأقلام . هكذا رفعت الوسادة
ورحلت أحاول أن أدون هذه التجربة، ما الجدوى ؟.. لن أستعمل
هذه الخبرات فيما بعد، لكن ما جدوى حياتنا ذاتها إن لم ننقل
خبراتنا لجيل تال ؟..

سوف أبهر وسط ذكرياتى .. سأحاول أن أتذكر ما فاتنى ...
ما لم أحكه لك .. ما كنت قد نسيت أننى عشت ..

سوف تكون هناك هلوسة كثيرة ، لكن تذكر أن دمي مفعم
بالمورفين والهيبتادين .. اقبل كلماتى كما هى ولا تلمنى يا صاحبنى ..
فريكيكو لا تلمنى .. على رأى سيد الرواية نجيب محفوظ فى
(ميرامار) ..

اسمى رفعت إسماعيل ..

ر .. ف .. ع .. ت .. | .. س .. م .. ع .. ي .. ل ..

(ر)

رسالة من الكينونة

- 1 -

الغابة عميقة مظلمة عذبة ..

لكن لدى مواعيد يجب أن ألتقي بها ..

وأحياناً يجب أن أقطعها ..

قبل أن أنام ...

روبرت فروست

* * *

أعتذر بشدة أولاً لأننى لا أنتوى سرد أى تفاصيل عن الكينونة .. كما قلت لك هناك أسرار من الخير أن تموت مع المرء. لن أحكى لك كيف عرفتُها ولا من هى .. أعرف أنك راغب بشدة فى معرفة الأمر لكننى لا أستطيع. يكفيننا استنتاج أنها كيان واسع المعرفة .. خطر جداً .. على الأرجح يمكن أن أقابلهما فى صورة

بشرية متحركة. نتبادل الرسائل التى أكتبها بدمى وأحرقها .. رسائلها أجدها تحت وسادتى وهى تستعمل ورقاً مريباً أعتقد أنه من جلد بشرى مذبوغ. لم تقل هى هذا لكن بوسعى أن أخمن ..

بسهولة أعرف شكل خطاباتها . شكل المظروف الغريب .. طريقة القلق مع خاتم من الشمع. الكتابة بالحروف القوطية على المغلف . جو محاكم التفتيش وصكوك الغفران ..

اليوم وجدت تحت وسادة فراش المستشفى الخطاب التالى :

عزيزى رفعت :

هذا هو خطابى الأخير لك سواء رددت أو لم ترد. أنت على وشك ممارسة عادة الفناء والتلاشى ككل قومك. ولعمري هذه عادة سيئة لا أعرفها وقد فشلت فى أن أخلص البشر منها. لسبب ما يحبون أن يموتوا وتتوقف أنفاسهم ويخضر لونهم وتمتلئ بطونهم بالديدان .. لن أفهمهم أبداً ..

على كل حال تذكر أن هذه ليست سوى مرحلة ، وأن الحياة مستمرة .. أنت ذاهب للقاء خالقك حيث يتم الحساب النهائى والحقيقى لحياتك. سوف تعرف إن كنت موفقاً أم لا . لا أجيد

ما أقولنه سوى أن أطلب منك ألا تحزن . يؤسفنى الفراق ، لكن تذكر أنني فارقت الالف البشر ممن كانوا مثلك من قبل ... لا يمكن أن أقول إن لك وضعاً خاصاً أو متميزاً ..

هذا هو خطبى الأخير .. ربما أحاول أن أخفف آلام النهاية عنك إذا فشل المورفين ، لكن أعتقد أن الأخير كاف .

شكراً لك .. كانت معرفتك ممتعة .

بإخلاص :

أنت تعرف من

* * *

كان خطاباً رقيقاً مفعماً بالأمل كما ترون .. أجمل خطاب يمكن أن ترسله لشخص مريض ..

هذه الكينونة لن تكف عن إشعاعى بالخلل من لطفها ورقفتها.

لا أستطيع حرق الخطاب هنا ، لذا دسمته بين صفحات الكتاب العملاق الذى أربطه لبطنى . ورقدت أنظر للسقف .. كم مرة فى حياتى نظرت للسقف لأرى كأننا مخيفاً يتشبث به ؟؟؟ هذه المرة

لا أرى سوى كشاف النيون الأنيق البارد المحايد . كشاف سمج لا مبال من قرط ما رأى من موت ومرض .. وأحاول أن أتذكر

تلك الرسالة التى وصلتني يوماً ما منذ أعوام :

عيرى رفعت :

أنت تعرف أنني أذكرك من الخطر فى أوقات بعينها ، وهذا لأننى أرى ما خلف الأستار كان الأستار لا وجود لها . فى عالمك يوجد مخلوق مريب ..

كانت هناك فى القرون الوسطى أمة من الوحوش تحيا فى جزيرة فى المحيط ، ثم بادت فلم يبق منها إلا عشرة مخلوقات أو أكثر قليلاً ... هذه الكائنات تبدو كقطط أو أفئاع أو كلاب أو وطاويط .. لا يهم ..

هذه المسوخ تدعى (مولوخات) . ولديها قدرة مذهلة على تغيير الشكل ..

ما لا تعرفه ولا يعرفه البشر هو أن هناك مخلوقاً منها فى مصر الآن ... هذا المخلوق يقتدى بالدم واللحم البشرى ، ولكنه

يبدو للناس شيئاً طبيعياً برىء المظهر. لا أحد يقدر على القبض عليه أو الكشف عن حقيقته. اليوم أعرف أنه قريب منك جداً .. إنه فى دائرة عالمك ..

ربما كان هذا بطريق الصدفة ، وربما أرسله خصمك العتيد لوسيفر. المهم أن عليك أن تجده وتحاول تدميره بأى شكل . لا أقدر على أن أفصح أكثر لكنى أقدم لك هذه النصائح :

— أنفك قد يخبرك بالحقيقة .

— النار قد تحل المشكلة .

— سوف تجد المعلومات اللازمة قرب شجرة عتيقة .

— ليس هذا أفضل وقت لطلب يد فتاة .

— الصباح المبكر أفضل وقت .

تذكر هذا فربما نجحت فى أن تبقى حياً ..

بإخلاص :

أنت تعرف من

* * *

يجب أن أكرر هنا إن هذا خطاب قديم .. ربما يعود لعشر سنوات سابقة ..

كنت فى ذلك الوقت أمشى وأكل وأشاجر وأصعد الدرج .. لابد إذن أن هذه من القصص التى لم أحكها لك بعد ..

شعرت بقلق بالغ .. الكينونة تعرف ما نقول ، ومعظم نبوءاتها لها طابع مصيرى قدرى بذكرك بنهاية العالم .. دائماً لا تعطى تعليمات واضحة ، لكنها تعطى كلمات عامة .. بعضها مفيد وبعضها يضلل أكثر مما يفيد ..

هناك خطر داهم إذن ..

أنا أعرف الكائنات التى تغير شكلها هذه Shapeshifter. هناك تراث هائل منها فى قصص الرعب والأساطير. ألف ليلة وليلة تعج بها .. تذكر السندباد مع الساحر الشرير الذى بدا أولاً كشيخ مسن واهن .. الأمير الضفدع فى الأساطير الغربية .. بحارة أوديسيوس .. النداهة فى إحدى أشكال القصة تتخذ شكل صديق لك وتدعوك للخروج معها . الفكرة مرعبة دائماً ...

لا تنس أن المذعوب فى النهاية هو شكل من أشكال تغير الشكل . لفظة لايكاتروب (مذعوب) فى حد ذاتها هى اسم رجل مسخه زيوس إلى ذئب ..

لكن من أين أبداً ...

لا أعرف ..

اتجهت إلى جهاز التلفزيون وفتحته .. تلك كانت الأعوام الأولى التي نرى فيها التلفزيون بالألوان .. جلست شارد الذهن أتابع برنامجاً ثقافياً . مذبة شقراء تتحدث مع ضيف ممل يغوص في مقعده ، ويردد بلا توقف :

« الديالكتيك .. لابد من المزيد من الديالكتيك .. »

كنت أفكر بلا توقف . هل هناك أشخاص وافدون إلى حياتي مؤخراً ؟. هل من وجوه جديدة .. كانت تلك فترة من الفترات الهادئة في حياتي فعلاً ، لا شيء يحدث ولا مخاوف ..

لكن .. هذه المذبة .. اسمها (صفاء حجازي) . هتان العينان الخضراوان اللتان تشعان ناراً .. ياقة بيضاء وثوب أسود .. أنيقة جداً .. رشيقة الحركات والإيماءات ..

وماذا عن صوت المحرك الخافت هذا ؟ .. هناك شيء في سماعات التلفزيون بلا شك .. لكن لا .. أنا متيقن من أن الصوت يأتي من المذبة ذاتها ..

لكنها مذبة معروفة وشهيرة .. أراها منذ ولدت على ما أعتقد .. لا تشيخ أبداً كأنها رومبي ، ولعل هذا دليل آخر . لكن مغيرى الأشكال يفعلون ذلك أحياناً .. أعني أنهم يحطون محل شخصيات نعرفها . فكرة مرعبة أخرى .. قد يعود أخوك من الشارع وقد صار آخر .. كما قلت إن هناك صبيغاً لقصة النداهة قريبة من هذا ...

هل يمكن أن يكون مولوخ — على شكل قط — قد حل محل هذه المذبة ؟

مستحيل . هل تعرف السبب ؟.. لأن هذا مستحيل .. لا توجد مصادفات بهذه القوة ..

تباً .. سوف أصاب بالبارانويا حتماً ..

هنا أجفلت لأن جرس الباب دق ..

* * *

القادم كان رجلاً غليظاً بديناً يخنفر بلا توقف .. لابد أن السلم أتعبه فعلاً . كان يلبس ثياباً رثة متسخة قليلاً .. قال لي وهو يلتقط أنفاسه :

— « دكتور رفعت ؟! »

قلت فى حذر :

— « أنا هو للأسف .. »

نظر حوله وأخرج منديلاً مسح به عرقه الغزير ، وقال :

— « اسمى صبحى .. محاسب فى بنك (...) .. هناك مشكلة لابد ان أحكيها لك .. عرفت أن عندك خبرة ممتازة فى أسرار ما وراء الطبيعة. هل تسمح لى بالدخول ؟! »

وقفت أتأمله بعض الوقت .. أعتقد أنه شخص مسالم ، لكن هناك تلك الرائحة .. رائحة كريهة فعلاً تتصاعد منه . أعرف قوماً يعانون البحر بشدة وأنفاسهم لا تطاق ، لكن رائحة هذا الرجل عامة .. تنبعث من مسام جلده ومن خلاياه ...

— « أنفك قد يخبرك بالحقيقة .. »

الكينونة قالت هذا .. فهل نحن فى هذه اللحظة ؟!

المتحولون أو مغيرو الشكل جاءوا من فروع عدة .. ربما كان أحد فروعهم ينتمى للخنازير البرية. من يدرى ؟

لو أردنا أن نشبه الكائن القادم لقلنا إنه خنزير .. خنزير برى آدمى عملاق ..

قلت له وأنا أوارب الباب :

— « لا أتلقى زيارات من غير موعد .. »

كان قد اندفع نحو الباب محاولاً أن يبقيه مفتوحاً .. لحسن الحظ أنه لا يعرف حيلة (بوارو) الشهيرة فى وضع قدمه فى فرجة الباب ليمنعه من الغلق ..

أغلقت الباب بحزم بينما راح يدق بقبضته ويردد :

— « ماذا هنالك ؟؟ قلت لك إن عندى مشكلة ! أنا فى خطر .. »

— « لا أتلقى زيارات من دون موعد .. كلامى واضح .. »

ماذا لو كان هو ؟! .. ما الذى يثبت أنه من مغيرى الشكل ؟! .. ولو كان كذلك فماذا أفعل ؟ هل أجلب سكين المطبخ وأولجها فى صدره ؟! هل أطلب الشرطة ؟! أقول لهم : .. « أنا أشك فيه يا سيدى .. يبدو لى كأنه خنزير متحول .. » ولو سمحت له بالدخول فلربما كان هذا خطأ عمري

وقفت ألهث خلف الباب .. لم أكف عن الالهث إلا عندما توقف لهاته وعرفت أنه رحل ..

- 2 -

شجرة عتيقة ؟ .. أين أجد شجرة عتيقة ؟

فى ساعة مبكرة من النهار ، رحلت أدور حول البناية التى أسكن فيها عدة مرات .. هناك مجموعة من أشجار السنديان فى شارعنا ، وعلى قدر علمى هى أشجار عتيقة معمرة ..

ترى أين يوجد السر الذى يمكن أن يدلنى على الحقيقة ؟

— « أنفك سيدلك على الحقيقة .. » . من قال لها إن أنفى سليم ؟ .. لكنها الحقيقة .. ما زلت أشم جيدا لشدة الغرابة ..

رحبت أتشمم الهواء وأنا أمشى فى ذلك الممشى الضيق ..

رائحة كريهة .. لا شك فى هذا ..

كلب مذعور أشعث نظر لى ثم هرع يفر .. هل هو مصدر الرائحة ؟ .. هل يعنى هذا أنه مولوخ آخر ؟ .. ما الذى يمنع أن يتخذ المولوخ شكل كلب أو قط ؟ لماذا أفترض أنه كائن بشرى ؟

ثم اصطدمت قدمى بذلك الشيء ..

بدا لى أولاً كأنه متسول ينالم على الأرض ، ثم رأيت حالة التجرد من الوجود التى يمر بها .. حالة تحلل الخلايا .. حالة اللا حياة .. الفارق الواهن الذى يجعلك ترتجف وتجفل . لو اطلعت عليه لوليت منه فرارا ولملئت منه رعباً كما يقول التعبير القرأنى الدقيق ...

دققت النظر أكثر فعرفت أنه رجل .. رجل بدين غليظ .. رجل كان يطلب مقابلتى منذ فترة وجيزة. هذا لم يكن (مولوخ) إذن وإنما هو ضحية ..

دققت النظر فى الجثة فرايت أن لحم الوجه ممزق .. وأدركت أن هناك من أفرغها من الدم .. هذه أشياء لا تفوتنى وأدركها بسهولة تامة . بعد عمر من مقابلة مصاصى الدماء لا يخطئ المرء هذه الأمور ..

الجثة على بعد خطوات من جذور الشجرة العتيقة ..

بالفعل كانت الشجرة والرائحة الكريهة هما من قادانى إلى هنا كما قالت الكينونة ..

هذا البانس كان يخشى شيئاً وأراد أن أساعده لكنى خنثته ..
يمكن القول بلا خطأ كبير إنه نزل من بيتى فهوهم ، ثم تركت
جثته هنا طينة الليل .. لا أحب أن أتصور أن الكلب الذى قابلنى
ظفر بقضمة .. هذه أشياء بشعة ..

شعرت بيد باردة على كتفى فلفجت ..

استدردت للخلف فوجدت فتاة غارعة الطول تلبس ثوباً أسود
طويلاً ..

كانت جميلة .. هذا ما استطعت أن أتركه مع أول نظرة ..

قالت لى بصوت مبسوط من الرعب :

« ماذا هناك ؟ .. »

قلت وأنا أترجع للخلف :

« ميت .. هناك من هاجمه هنا .. »

راحت ترتجف كورقة .. ترتجف لدرجة أثارت شفقتى ، ثم
اقترحت أن أتصل بالشرطة .. سأقفل هذا طبعاً .. أحياناً يتمتع
الناس ببقاء مذهل ..

كان العارة قد بدعوا يحتشدون .. ضوضاء ..

أحد البوابين قال إنه طلب رجال الشرطة .. حالة عامة من
الفخر تقمر الناس كأنهم هم من قتلوه .. وكانت هذه هى الفرصة
المناسبة .

حان الوقت لأدوب وسط الزحام وأختفى . ليس لدى ما يفيد
رجال الشرطة ولا يوجد ما يقال ، ولن أكتب شهادة أو أعطل
العدالة . إذن لا داعى لإضاعة اليوم فى التحقيقات .. ما لم أجد
نفسى متهمًا بالقتل آخر الأمر .. أعرف هذه المواقف ..

انسحبت وسط الزحام فلم يلحظ أحد رحيلى ، ووجدت أن بد
الفتاة الباردة الراجفة فى يدي فسرقتها لتكون معى ..
كنا نبتعد ..

وهناك عند ناصية الشارع كانت تلك الكافيتريا قد بدأت العمل ،
فدعوتها إلى الدخول .. لا تقلقى .. أنت بحاجة إلى قهوة
مركزة .. هل أقطرت ؟ .. نعم ؟ .. أنا لا أتناول الإفطار أبداً ..
لا أمارس أى عادة مفيدة أو صحية . هذا شيء التزمت به نحو
نفسى ..

هكذا جلسنا في ذلك المكان الهادئ الدافئ الناعس .. ثم يأت زبائن بعد ، وقد بدا أن النادل يشعر بضيق منا لأنه يريد أن نتركه يلتهم الطعمية ورغيف الخبز الأسود الذي كان ينوى البدء بالإفطار به .

قلت له في رفق :

« سوف تجلب لنا القهوة ثم أعدك أنني لن أطلب منك أى شيء للأبد .. »

بدا عليه الرضا وانصرف ..

قلت للفتاة :

« اسمى رفعت إسماعيل .. وأنا لا أتحرش بك أو أحاول أن تقعى فى حبى . كل ما هنالك أننى أكره أن أتركك ترحلين وأنتى تحملين ذكرى جثة ممزقة .. »

لماذا لم تترك قط ؟ لماذا لم تصرخ ؟

لماذا لا ترمش جفونها بالمناسبة ؟

قالت وهى تبحث عن شيء فى حقيبتها :

— « اسمى (أسيل) .. كنت ذاهبة لعملى عندما رأيتك تتأمل شيئاً خلف تلك الشجرة .. عندما دنوت رأيت ذلك المحاسب وكانت الصدمة قوية .. »

ثم راحت ترتجف أكثر . حتى عندما جاء النادل بالقهوة ورشفت أول رشفة ..

كنت أفكر فى عمق .. المحاسب ؟ هل جاء الحل بهذه السرعة ؟ هذا حسن حظ لا أتوقعه .. وماذا عن رالحتها ؟ لها رائحة عطرة غريبة تذكرك بالبلبل ..

أرى ساعدها العارى حيث انحسر الكم .. هل هذه حراشف أم بقعة من داء الصدفية اللعين ؟

قلت لها باسمًا :

— « بلا أى انفعال زائد . من قال لك إن هذا محاسب ؟ وددت لو فهمت ! .. »

نظرت لى ثم اتسعت عيدها .. أقسم أننى سمعت صوت فحيح .. ثم قالت :

— « إنه زمول لى فى المصرف .. اسمه صبحى ... »

هذه إجابة معقولة .. لكن هل هي صائقة ؟ .. هل كان المحاسب يحتمى بشفتي وخبرتي من خطر معين شعر به ؟ .. هل كان يخشى المسير في الشارع ؟ .. هل كان هناك مولوخ يبدو كالبشر يلاحقه ؟

هذه الفتاة تذكرني بالأنفاسي .. لا شك في هذا .

هل من إجابة ؟؟

لما انتهت من شرب القهوة وهدأت قليلاً غلارنا الكافتريا نقدت النادل الذي امتلأ شذفاه بالطعمية نقوده فلم يكلف نفسه بالعد ..

في الخارج ودعتها .. وطلبت رقم هاتفها ..

« لماذا ؟ .. »

« لأطمئن .. »

قالت في خبث وهي تهتد :

« أنت قلت إنك لا تتحرش ولا تحاول الإيقاع بي .. »

« هذا صحيح .. »

« برهن ! .. »

وسرعان ما اتصلت مبتعدة ..

هل هذه هي ؟ .. أعتقد هذا . هذا أقرب الاحتمالات الممكنة .. ربما هي أو الكلب المذعور الذي رأيته .. لكن ماذا أفعل بعد هذا ؟ أحرقها لأتأكد ؟ لو ماتت فهي بريئة ولو ماتت فهي مولوخ ؟ .. يذكرني هذا باختبار الساحرات الأحمق في القرون الوسطى .. ارم المرأة في الماء .. لو ماتت فهي بريئة .. لو طفت فهي ساحرة وعليك أن تحرقها !!

* * *

لكنكم تعرفون رفعت إسماعيل العجوز ..

إنه يبحث عن المتاعب دائماً ..

لهذا - في اليوم التالي - ذهبت إلى المصرف الذي ذكر لي للمحاسب اسمه .. من الصدفة أن لي صديق دراسة يعمل هناك .. بعد شرب الشاي والقهوة والشاي والقهوة ثم الشاي والقهوة . وقبل أن أموت بقرحة معدية سألته عن صبحي يرحمه الله ..

قال وقد تقلص وجهه ألماً وحزناً (ربما بسبب انتفاخ القولون) :

— « هذا البائس .. وجدوه ممزقاً في شارع بالدقي .. لا يعرف أحد من قتلها ولمه .. لقد كان يعاني حالة نفسية معينة . وكان يعتقد أن هناك من يطارده ليقتله .. حالة نفسية لا شك فيها .. »
فكرت قليلاً ثم سألته عن ...

— « (أسيل) .. هل عندكم فتاة اسمها أسيل ؟ .. »

حك رأسه ليتذكر .. ثم هتف في مرح :

— « تلك الأفعى الآدمية ...! بالطبع ...! »

قلت في حيرة :

— « أفعى آدمية فعلاً .. هذا أقرب تشبيه .. »

— « هل تنوى التقدم لها ؟ .. إنها جميلة لكنها غير قابلة

للمعاشرة .. »

— « أفكر فيها لأحد أقاربي .. أ .. هل يمكن أن أراها ؟ .. »

مد يده المكتنزة ليمسك بيدي واقتادني خارج مكتبه الصغير إلى ردهة مليئة بالموظفين الجالسين خلف شاشات الكمبيوتر. هناك كانت جالسة تجرى بعض الحسابات .. مررت بجوارها فتأداها الرجل محبياً . التفت لنا وهزت رأسها محببة في برود ثم عادت لما تقوم به ..

لم تعرفني ...! أسيل هذه لا تعرفني .. ربما هناك أسيل أخرى تعرفني وتذكرني .. السبب واضح وهو أن من قابلتها في شارعنا ذلك اليوم لم تكن هي .. كانت أخرى ..

هناك احتمال آخر لا بأس به .. هي لا تذكر من أنا .. من قال إن وجهي يعلق بالذاكرة ؟ .. إنه غطاء جمجمة لا أكثر كما قلت من قبل .. لقد قضت معي ربع ساعة بعد ما رأيت زميلها في المصرف ممزقاً .. لا بد أن وجهي قد محى بالكامل من ذاكرتها وسط هذه الضوضاء البصرية ..

هل رأيت الجثة فعلاً ؟ .. هذا وارد . ولربما فضلت ألا تتكلم ولا تحكى لأحد كما فعلت أنا ..

لكن كيف أتأكد ؟

* * *

فى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى نزلت إلى الشارع ..
أردت أن أبحث عند تلك الشجرة التى وجدت الجثة عندها .
الكلب الأجرب راح يحرك ذيله وهو يرمقنى فى رعب .. ترى هل
هو أنت ؟ ..

لا أعتقد .. لكن ماذا يؤكد أنك لست كذلك ؟ ..

سألته بصوت عال :

— « هل أنت مولوخ آخر ؟ .. »

لم يرد هذا الأحمق وابتعد مذعوراً ..

ما هذا ؟ .. أذكر أن الشجرة كانت هنا بالذات .. جوار هذا
الكشك المغلق .. هناك خطأ .. لا بد أننى صرت أبله أو ذاكرتى
قد محيت ..

رحت أبحث عن الشجرة التى رايت الجثة جوارها .. الراححة ..
أين هى ؟

ثم سمعت أنيناً ..

هرعت نحو شجرة قريبة .. شجرة غليظة كسا الطحلب
جذعها ، وامتدت جذورها الغليظة فى الرصيف .. عندها رأيت
مشهداً عجبياً بعض الشيء ..

لقد كانت الفتاة أسيل هناك .. راقدة على الأرض ممزقة الثياب
تكن بلا توقف ، وكانت فى حالة لا تسمح بالصراخ . من
يهاجمها ؟ .. لا تسخر منى .. كانت الشجرة تفعل ذلك .. لقد
تحول جذع الشجرة إلى شيء أشبه بلم عملاق مفتوح ينهش
الفتاة ، ومنها خرجت ممصات عدة تتمسك بعروقها محاولة
سحب الدم .. الشجرة كالن حي .. الشجرة تنبض بالحياة ..

الآن أفهم ..

غيبى أنا كما كنت يوماً ..

هذه الشجرة لم تكن هنا أمس .. كانت فى مكان آخر . أشجار
ماكث التى ترحف فى الغابة نحو القلعة .. هى ليست شجرة
أصلاً .. هذا هو مولوخ بغير شكله .. من قال إن المولوخات
لا تقدر على أن تبدو كنباتات ؟ لم يجل هذا بذهنى ..

الكيونة كانت صادقة جداً .. لكنها أغرقتنى فى لعبة الشك
المتواصل .. شككت فى الجميع تقريباً ووجهت إصبعى فى كل
اتجاه ...

المحاسب رأى لمحة جعلته يشك .. الفتاة سقطت فى الفخ
وهى ذاهبة لعلها ..

وثبت نحو الإفريز ، وتمسكت بساقها ورحت أحرها . كان هذا عسيراً مع حالتى الصحية .. وسرعان ما طرت فى الهواء ممسكاً بحذاءيها .. وسقطت جوار جدار السور المجاور ...

هناك بواب صعيدى سمع الأثنين فى هذا الوقت المبكر وهرع ليرى أشنع منظر يمكن أن يراه .. هكذا أمسك بساقها معى وجرها بعيداً وهو يبسملى ويحوقل ..

لا اعرف كيف استطعنا أن نحررها لكننا فعلنا ..

وهتف البواب بلهجتة الجنوبية الجميلة :

— « أعود بالله .. من أين جاءت هذه الشجرة ؟! »

قلت وأنا أنهت عاجزاً عن العثور على هواء :

— « اسمع .. هذه ليست شجرة .. ولن تكون آمنين ما لم

نحرقها هنا والآن .. »

كنت جالسا هناك على الإفريز ارمى ذلك الشيء بفور ويمور ويعلو ويهبط ... أرجو ألا يتحرر المولوخ ويلاحقنا ... أرجو ألا يسترد شكله الأصلي قبل أن نواجهه كشجرة ..

* * *

همست ماجى وهى تسمع أنينى فى الظلام :

— « حاول أن تنام .. لا أفهم معظم ما تقول لكنه كابوس .. »

قلت بشفتين جافتين :

— « ليس كابوساً بل هى ذكرى .. ذكرى قاسية .. هلا

ناولتنى رشفة من الماء ؟! »

- 1 -

ويوم أغيب .

وراء المغيب .

يقولون كان عنيدا ..

وكان يقول القصيدا ..

وراح يحاول شيئا جديدا ..

ومات وخلف هذا الوجودا ..

كما كان قبلاً .. غيباً بليدا !!

(دكتور غارى العيسى)

* * *

رائحة الديكول هذه .. رائحة المستشفيات هي رائحة الممرض
ذاته .. لكنى كطبيب تعلمت أن أعشقها ..

فى الليل تصحو الثانوية فى العظام ، ويتحول ظهر مريض
السرطان إلى أداة تعذيب من القرون الوسطى . وفى الليل تحقننى

(ف)

فى المثلث

المرمضة ببعض ذلك السائل .. سوف يسمحون لى بأقراص المورفين فيما بعد . لكن هذا يتطلب إجراءات معقدة .

فى ظلام الحجرة كان واقفاً ..

رايته فى الضوء الخافت القادم من الخارج ، وخطر لى أن أصرخ طالباً الممرضة ، لكنى خشيت أن تكون هذه هلاوس بسبب المخدرات التى يعطونها لى .. تداخل الحقيقة مع الواقع مروع وكابوسى .. لو جاءت وقالت إنه لا يوجد شيء لساعت حالتي النفسية جداً ..

لا أعرف شكله لكنه بدا لى كصبي .. مراهق فى الخامسة عشرة من عمره .. ربما ..

تلك الوقفة الثابتة .. لا أعرف عينيه بسبب تأثير السلويت ، لكنى أعرف أنه ينظر لى . كل المسوخ تعرف كيف تستخدم الإضاءة كأفضل مدير تصوير فى العالم . لا يوجد شبح أحرق أو مبتدئ فى فنون الإضاءة ..

قلت فى صوت خافت مبهوح :

— « من أنت ؟ .. »

بعد صمت قال بصوت يناسب منظره :

— « أنت تعرف ..! .. »

هذه محادثة مناسبة جداً لكى يكون هو الموت .. لو قرأتها فى عمل أدبى لقلت إن بطل العمل يموت الآن ، لكن الموت لا يبدو كهذا ..

عدت أكرر بذلك الصوت المشبه بصوت صرصور :

— « من أنت ؟ .. أنت تفترض فى نكاء لا أملكه »

منذ صباى يضايقنى ذلك الوجد الذى يستوقفك .. بشد يدك ويعتصرها فى قسوة وهو يحملق فى وجهك مررداً (حقاً لا تتذكرنى ؟) فأصرخ أله وأتلوى محاولاً انتزاع يدى ، لكنه يضغط أكثر وتتسع عيناه وبحمز على أسنانه .. هلم ..! نشط ذاكرتك ! .. تذكر .. فتقسم بالله أنك لا تذكر .. لكنه مصر على أن تتعلم الدرس بنفسك . فى النهاية يخبرك أنه (محمود أبو سلامة) الذى قابلته فى حفل زفاف (أحمد الفقى) .. أنت لا تعرف أى اسم ولا تتذكر أى شيء ، لكنه مصر على أن يعصر يدك حتى تنهشم ..

قل من أنت أيها الطيف فلنا لا أنكر ..

فى اللحظة التالية أدركت أننى وحدى فى الغرفة ..

لا إجابة .. سوف أموت دون أن أعرف من كان هذا ..

لا بد أن الوقت كان مساء .. العواصف عاتية .. الأمواج تتعالى كأنها جبال أو مرده أصابهم الجنون ، وبرغم هذا حاول القارب الصغير أن يتوغل فى الماء ..

صاحب القارب إدموندو أبراهان كان فى حالة جنون حقيقية ، وقد أصر على أن يظفر ببعض الأسماك فالأطفال جياح .. هناك أفواه مفتوحة فى البيت كآفواه الطيور ..

مساعدته إرنستو فابياو راح يحاول إقناعه بالعكس ، لكن الرجل بدا متحمساً .. كان جنية بحر نادته لموعد محتوم مع الانتحار .. من ينزل للبحر فى طقس كهذا لن يعود . لا يحتاج الأمر لذكاء كثير .

ولكن كل محاولات النزول للبحر تفشل . الموج يتقيأ القارب على الفور ، نيجدا أنهما ملقيان على الشط مهشما الأوصال .. يحملان القارب من جديد ..

بدا الأمر كأن هذا عملاق حكيم يحاول منع أطفال عابثين من مضايقته .. ابتعدا .. أنا لا أريد الإيذاء .. سوف أغضب .. غضبى قاص متوحش ..

لكنهما كانا مصريين .. فى النهاية رقدا على الشط فى الظلام وسط الزبد يلهثان . على الأطفال أن يبيتوا جياغا إذا لم يريدوا أن يبيتوا يتامى ..

وهنا نهض فابياو ونظر لبعيد ثم صاح فى معلمه :

— « انظر هناك !.. »

نظر إدموندو لما يشير له الفتى وهو مستعد لأن يلغنه لعنا لو كان هذا شيئاً تافهاً ، لكن الكلام احتبس فى حلقه .. لا يمكن الكلام وأنت ترى هذا الوحش الجاثم على الشط ...

هذا هو العام 1872 .. وهذا هو ساحل البرتغال قرب جبل طارق ..

فى الصباح جاء رجال كثيرون وأفراد من الشرطة ووقفوا فى رهبة ينظرون إلى السفينة الجاثمة التى قذفها الموج إلى الشط .. سفينة عملاقة مرعبة بدت كأنها نياصور نائم ..

كان الاسم المكتوب على الخشب المهشم المبتل هو (مارى سلسى) .. اسم سيحد طويلا فى عالم ما وراء الطبيعة والظواهر الفورية .. هذه سفينة أمريكية .

تسلىق الرجال إلى السطح بالحبال ، وراحوا يمشون فى حذر فوق الخشب المبتل والطحالب .. من وقت لآخر تنهشم قطعة خشبية ويوشك أحدهم على السقوط ..

كان الأمر واضحا .. لا يوجد أحد على سطح السفينة .. السفينة خالية تماما . هناك مشهد شبيه بهذا للسفينة التى اجتاحتها الطاعون فى رواية دراكيولا ، نكن على الأقل كانت هناك جنث على تلك السفينة وكان هناك قبطان ربط نفسه لعجلة القيادة ..

لم يكن شىء من هذا هنا ..

المون سليمة تماما .. لم تمس تقريبا . البضاعة سليمة والأشياء الثمينة كلها فى موضعها .. هذا ينفى فكرة هجوم قراصنة على السفينة .. أما أسوأ ما فى الأمر فهو أن هناك أطباء على الموائد بها طعام مسكوب لكنه لم يفسد .. ما حدث لهذه السفينة حدث فجأة ولم يمهل الطاقم حتى يأكولوا وجبتهم الأخيرة .

عندما أفلعت السفينة من نيويورك كان على ظهرها عشرة أشخاص ، ولا أثر لهم الآن . دفتر مذكرات السفينة موجود لكن لم يكتب فيه شىء منذ فترة طويلة .. البوصلة مهشمة ..

اتهموا القبطان الأمريكى بسوء التصرف ، لكن الجميع كانوا يعرفون أنه قبطان بارع يحسن الملاحة .. الخطأ البشرى غير وارد هنا ..

هل أغرق القبطان السفينة لينال مبلغ التأمين ؟ .. للأسف لا .. مبلغ التأمين كان ملائم لا تستحق هذه المغامرة ..

هجوم القراصنة فكرة مرفوضة كما قلنا ..

التصقى لقب النحس بهذه السفينة بعد هذا .. كل من تعامل معها مات فى ظروف مؤسفة ، فى النهاية لم تجد مشترىها وتركوها حتى تسوست وتلاشت ..

بعد أعوام درس العلماء مسار السفينة فعرفوا أنها كانت تمر عبر منطقة تقع بين برسودا وبورتريكو وولاية فلوريدا الأمريكية .. مثلث متساوى الأضلاع ...

هذا جعلهم يعتقدون أنهم وجدوا التفسير الصحيح لاختفاء الطاقم ..

نحن نتكلم عن مثلث برمودا إذن !

* * *

أنت تعرف مثلث برمودا حتماً ..

آلاف الكتب التى تحكى عن الأساطير الفورية حكت عنه ،
وهناك من ربطه بالجان والمسيخ الدجال .. إلخ ..

هناك من يزعمون أنه لغز الألغاز ، وهناك من أجروا
إحصائيات دقيقة خرجوا منها بأنه قصة وهمية وحوادث الاختفاء
فيه ليست أكثر من أى موضع آخر من المحيط .. من هؤلاء
المشككين نورانس كوش ، الباحث فى جامعة أريزونا.

فى العام 1945 حدثت الحادثة الأشهر عندما اختفى سرب
طائرات أمريكية يعبر مثلث برمودا. خمس طائرات اختفت ثم
اختفت طائرة ذهبت للبحث عنهم .. وانفجرت طائرة أخرى ذهبت
للبحث عن كل هذه الطائرات ..

هكذا دخل مثلث برمودا إلى الثقافة الشعبية ولم يخرج. أنت
رأيت فيلم (لقاءات حميمة من النوع الثالث) حيث تخيل ستيفن
سبيلبرج أن هؤلاء الطيارين كانوا مخطوفين على متن سفينة

فضاء .. وقد عادوا فى نهاية الفيلم فى عملية إعلان عن حسن
النوايا ..

وفى العام 1964 كتب فتنست جاديس المقال الأشهر عن
مثلث الشيطان .. وصار كل واحد فى العالم يعرف هذا المثلث ،
وانتهلت نظريات التفسير بدءاً بالجان مروراً بالكائنات الفضائية ..
مروراً بقراصنة البوكاتير كما فى قصة (الجزيرة) لبيتر بنشلى ..
لقد شكل المثلث اللعين كنزاً لكتاب الخيال العلمى والسينما ولولاه
لاقلس الجميع وخرب بيتهم ..

فيما بعد ظهرت الحاجة إلى كشف هذا السر بشكل واضح
وحاسم .

كنت أنا من المهتمين جداً بقصة السفينة (مارى سلسى) ،
فهى خليط عجيب من التحس والاختفاء الغامض .. لها نفس
مدق غرق التيتانيك ، لكن تمت دراسة غرق التيتانيك جيداً
ونحن نعرف اليوم أنه لا توجد أسرار .. بينما ما زال لغز هذه
السفينة محيراً فعلاً ...

بالطبع تعرفون ما حدث .. لقد اتصلت بى مجلة أسكتلندية
مهتمة بالتواهر الخارقة تطلب أن أشارك فى بحث مدقق عن

تلك الظاهرة .. ظاهرة مثلث برمودا. أنا طبيب عربى ولى خبرة عريقة بهذه الأمور .. لديهم فى الفريق عدة جنسيات ومعتقدات دينية وثقافية. هذه الأمور ؟.. صدقنى أنا لا أعرف ما هذه الأمور !! .. بالطبع حتى هذا الجزء كنت متأهبا للفرار والاعتذار. لن أذهب لآخر العالم لأفتش فى أساطير بحارة ثملين على الأرجح ..

لكن

هناك فريق ممتاز من عدة جامعات ، وكان هناك جزء مهم من الدراسة يقوم على استعمال السونار لدراسة الأعماق فى تلك المنطقة ..

تعرفون طبعاً من الأستاذ الإسكتلندى المهم بالسونار ودراسات الأعماق .. ماجى مايكلوب .. من سواها ؟

وهكذا وجدت نفسى أقبل العرض بحماس غريب ...

— 2 —

أمامك أيها البحار .. أمامك محيط السلام ..

ادخل بقاربك .. ادخل وارفع راية الذهاب نحو السلام ..

(طاعور)

* * *

الأكم يعصرنى ..

أوشك على فقدان الوعي .. لا حل لهذه المعاناة سوى فقدان الوعي ، لكنى من الأغبياء الذين لا يغيبون عن الوعي عندما يقسو الألم .. يظنون متبهمين. قالوا لنا فى كلية الطب إن المحترق يموت على الأرجح بصدمة عصبية قبل أن يشعر بالنار تحرق لحمه ، لكنى أختلف .. سوف أشعر بكل شعرة وهى تتفحم .. كل عضلة وهى تتقلص ..

ألم شديد .. شدييييد ..

تصفيق حاد من شياطين جانب النجوم . نوسيفر يردد فى سرور : إتنى لهذا المشهد أسعد وله قلبى يطرب .. إن نوسيفر هذه الليلة — والحق يقال — سعيد ..

تصفيق حاد .. صغير ..

لا تمت يا رفعت .. لا تمت بهذه السرعة .. نريد أن نلتذ أكثر.

سقطت على المنضدة الصغيرة التى وضعتها فى ركن الغرفة.
سال الحبر ليفرق (أسطورة طفل آخر) التى كنت أكتبها ..

وفى النهاية تشبثت بالملاءة .. تنفست بقوة إلى أن استعدت تنفسى .. لن يشمت فى هؤلاء الملاعين .. ليس الليلة ...

وتحسست الكتاب المثبت إلى خصرى . قد أفقد الوعى ويجردونلى من الثياب وينزعون هذا الكتاب .. سوف أصير تحت رحمة لوسيفر التى لا وجود لها أصلاً ، لكن لماذا القلق ؟ .. هو يعرف أن الكتاب له فى النهاية ...

وبينما أنا غارق فى سكرات الالم تذكرت ما حدث فى ذلك العام ...

* * *

عندما التقينا فى فلوريدا لم أصدق ..

لقد اعتدت أن أرى ماجى فى ظروف خاصة هنا على أرضى أو فى أرض أبيها ، لكننا تقابلنا هذه المرة فى الولايات المتحدة .. لا أحمل أى حب لهذا البلد كما تعلم . لكن ماجى كانت هناك لتخفف المعاناة .

المشروع كان عملاقاً بالفعل ... تشرف عليه البحرية الأمريكية بالتعاون مع هيئات علمية عدة ، وهذا يعنى أن دورى كان أقرب لـ (الفاسوخة) لو سمحت لى بهذا التعبير. لست خبير غطس وليست لى خلفية عسكرية ولا أفقه فى الطيران ، ولست عالم فيزياء . باختصار لا دور لى سوى أن أكون قرب ماجى فى فلوريدا على حساب المجلة الأسكتلندية والجيش الأمريكى ..

هيئة المشروع تدعى BTE وهى الحروف الأولى من عبارة (استكشاف مثلث برمودا) . مدير المشروع جنرال أمريكى ممن تراهم فى السينما ، اسمه (ويليام وايلز) .

كانت خطة المشروع تقوم على خروج عدة سفن عملاقة تمخر فى مثلث برمودا ، وتقوم بإرسال موجات سونار للأعماق والتقاطها ثانية . كان هناك فريق آخر يدرس فرضية تلج الميثان الذى يكسو قاع المحيط فى تلك البقعة والذى قيل إنه يسبب

اضطرابات تغرق السفن .. انفجارات هذا الغاز تغير كثافة الماء فلا تصير السفن قادرة على الطفو فيه وتغوص .. قد يفسر هذا غرق السفن ، لكن كيف يفسر خلوها من الطاقم ؟ . كيف يفسر سقوط الطائرات ؟

استغرقت الدراسات ثلاثة أسابيع ، ولا أعرف بالضبط دور ماجى فى هذا لكنه كان بالغ الأهمية .. الفتاة الرقيقة ماجى يمكن أن تكون مهمة ومرعبة ..

كل شيء كان سرياً .. معظم أعضاء الفريق لا يعرفون ما يقوم به الآخرون ..

كانت ماجى تبدو قلقة مهمومة .. تمضى معظم يومها فى العمل ودراسة تقارير السونار كما ترسلها السفن التى تجوب المثلث ، ولم تكن قد انضمت للفريق الذى يبحر فى المحيط .. كانت تمارس عملها فى القاعدة فى فلوريدا ..

بعد أيام خرجت معها بعض الوقت فى نزهة قصيرة ..

مشينا وسط الغابات متشابهى الكفين كأننا عاشقان قديمان ، ووجدت شجرة صفصاف وارفة ، وحول جذعها تتواهب سناجب صغيرة مرحة .. دعوتها للجلوس هناك ..

جلست واضعة ذقنها على ركبتيها وابتسمت لى .

— « للأبد ؟ .. »

تسألت :

— « ماذا ؟ .. »

— « ستكون ملكى للأبد ؟ .. »

— « وحتى تخترق النجوم كلها وحتى »

لكنها لم تكن تصفى .. كانت تفكر فى شروء ..

قطعت جملتى وقتلت لها :

— « يبدو أنك قلقة .. »

صمتت قليلاً ثم قالت فى حذر :

— « ما وجدته السونار مريب فعلاً .. أنا واثقة من أننى أهذى ..

لكن النتائج لا شك فيها .. كثيرون رأوا الصور معى ، وقد التزمنا بالسرية وعدم تسريب أى شيء للصحافة خاصة تلك المجلة الأسكتلندية . سوف ينالون ما دفعوه من مال لكن ليس الآن .. »

« وما هو المريب حقاً هذا ؟ .. »

« .. وجدنا هرمين !... هرمين من زجاج ! وهما على عمق كيلومترين !... »

تصلبت مفكراً .. هذا سخف بالتأكيد. لن ندخل في عالم هزيان إدجار رايس بوروز .. لن ندخل عالم أطلنطيد المفقودة وكل هراء الخيال العلمي السابق ...

في ذلك الوقت لم أكن قد سمعت عن د. (ماير فيرلاج) .. عالم أمريكي خبير في أعماق المحيطات ، ظهر وأعلن أنه وجد هرمين من الكريستال في قاع المحيط . البعض صدقه والبعض قال إن القصة كلها هزيان .. إن فيرلاج شخص غامض يشك كثيرون في وجوده أصلاً ، خاصة أن اسم فيرلاج بالإنجليزية معناه (ناشر) ..

كان عقد كامل من الزمن ينتظر اكتشاف الأخ فيرلاج ، لكن ملجى وجدت مع فريق عملها نفس الشيء المحير في ذلك الوقت ..

« هذا سخف يا عزيزتي !... »

« .. ربما هو سخف لكنه حقيقي .. قل هذا لصور السونار التي عادت بها السفن. هذان الهرمان هما مركز المثلث بالضبط !... »

« .. هذا ممتع .. وما حجم الهرم ؟ .. »

« .. ثلاثة أمثال هرم خوفو لديكم .. »

قلت في غيظ وأنا أقذف بعض الفول السوداني للسناجب :

« .. هل تدرकिन ما تقولين ؟ .. هناك أمة تعيش في القاع وأفرادها هم الذين يخطفون السفن. لابد أنهم قوم مزودون بخياشيم وزعانف .. أليس كذلك ؟ .. »

فكرت قليلاً ثم أخرجت علبة سجانر وأشعلت لفافة تبغ . كانت هذه هي الفترة القصيرة من عمر ماجى التى كانت تدخن فيها ، ربما لأن التدخين كان وقتها من لوازم الأناقة الأنثوية . قالت :

« .. النظرية التى يعتنقها معظم الفريق هى أن هذه أمة بادت وغمرها للمحيط .. هذا هو أقرب سيناريو محتمل . من يدري ؟ .. ربما كان هذا هو مكان قارة أطلنطيد الغارقة فعلاً »

« .. أفلاطون قال إن أطلنطد عند أعمدة هرقل ... أى عند جبل طارق »

« .. ربما كان أحمق .. »

كان مزاجي قد تعكر نهائياً .. لا أشعر بأى شيء رومانسي بعد هذا الكلام الغريب. الكلام الذى يشكل تحدياً لمنطقى .. أنا رأيت أغرب الأشياء فى حياتى ، لكن عندى تقوراً طبيعياً من كتب الأسرار هذه .. من بنى الهرم ؟ .. أين أطننظ ؟ .. الأطباق الطائرة ... إلخ .

هل نحن على باب اكتشاف يغير وجه البشرية للأبد ؟

— 3 —

كنت أفرغ معدتى بلا توقف فى الحمام ..

هذا هو تأثير عقار فينكريستين الذى يعطونه لى . يشبه الأمر أن يمشى قطار على جسدك عدة مرات ، والمشكلة أن هذا يحيل المعدة لبركان ..

فى ذلك اليوم منذ أعوام ، كنت أفرغ معدتى بذات الشكل على حاجز السفينة (جيرونيمو - 3) التى تتجه إلى بورتريكو ، راسمة قوساً طويلاً يتعمد المرور فى قلب مثلث برمودا اللعين .. لست ممن يصابون بدوار البحر عادة ، لكنى فى ذلك اليوم فهمت معنى الكلمة ..

لم اتصور أن معدتى تحوى هذا كله .. لابد أننى أفرغ قطعة البسكويت التى أكلتها فى فسحة ذلك اليوم من الصف الثالث الابتدائى .. وحاءت ماجى تقف جوارى تراقبنى ثم سألتنى :

« هل أنت بخير ؟ .. »

قلت متحسراً :

— « لم يسألني أحد قط أثناء القِيء عما إذا كنت بخير أم لا ..
أنا أكره الأسئلة الغبية .. »

— « أعني : هل تعتقد أنك تحتضر ؟ .. »

— « لا .. »

قالت بلهجة عملية ، وهي تربت على كنفى :

— « اليوم يبدأ أكثر الأجزاء إثارة .. البحرية الأمريكية
سوف ترسل كرة أعماق .. هل تعرف كرة الأعماق كالتى كان
د. (بيب) يستعملها ؟ .. سوف تهبط هذه الكرة لمسافة هائلة ..
تصور وتحاول أن ترسل لنا شيئاً .. »

ابتلعت ريقى وقلت :

— « أوووع .. سيدلونها لمدة كيلومترين ؟ .. »

— « بل لكيلومتر واحد .. لا نملك القدرة التقنية على إرسال
كرة أعماق لعمق كيلومترين .. »

عند العاشرة صباحاً وقفنا نراقب الكرة تهبط بينما الونش ين
من ثقلها .. الكرة تتدلى بحبل غليظ طبعاً يلتف حوله كابل يشبه

الحبل المرسى هو الذى ينقل ما تلتقطه الكاميرا فى مقدمة الكرة .
من حسن الحظ انه لن يكون بداخلها بشر .. د. بيب كان فى
كرته .. وهى شحادة لا توصف ، لكننا اليوم نشبه من يرسل
طائرة بغير طيار ..

قال لنا القبطان ابن بوسعنا الذهاب إلى غرفة المراقبة لمشاهدة
ما تلتقطه الكاميرا ..

على قدمين من مطاط مشيت مع ماحر لنهبط عدة درجات ،
فنجد أننا فى غرفة خائفة بفعمها لون أزرق كنيب .. هناك حشد
من الشاشات وخمسة علماء أو مصورين ..

على الشاشة رأينا المياد تزداد سواداً .. الكرة تتبعد عن نور
الشمس وتدخل عالمًا لم نره من قبل ..

أسماك تسبح نحو العدسة . فتتوهج فى ضوء الكشاف
المصاء داخل الكرة ، ثم تتبعد . مخلوقات غريبة جداً لا تتوقع
أن ترى هنا سمكة بلطى أو بورى .. كلما توغلنا لأسفل صار
المشهد أكثر شناعة والأسماك كأنها جاءت من أعماق كتب
الباليو إكولوجى

ساد الصمت .. أشعلت ماجى لفاقة تبغ وراحت تراقب الصورة المهزوزة على الشاشة ..

قالت لى وهى تضغط على بعض الأزرار :

« سوف تشغل السونار ليمسح القاع »

ثم راحت تراقب الشاشة التى بدت عليها أشباح مبهمه تذكر بصور بطن الحامل .. لا أفهم شيئاً ألبتة ، لكنها تتبادل حواراً تقنياً مع عالم أمريكى يجلس جوارها ..

فجأة تجمدت ..

استدارت لنا وقالت بصوت مبحوح :

« هناك كائنات تتحرك ! .. »

* * *

قلت لماجى وأنا أرمق الشاشة :

« ما الغريب فى هذا ؟.. هناك أسماك كما تعلمين .. »

« لا .. هناك أشياء تبدو كبشر .. بشر فارعى القامة

يخرجون من القاع »

« هل عدنا لخرافة أطلنطيس إذن ؟ .. »

« لا أعرف .. أنا أصف ما أراه .. »

يخرجون من القاع ؟؟؟

وفجأة صرخ القبطان كالفينيات صرخة رفيعة طويلة ، فاستدردنا .. كانت هذه واحدة من شاشات الفيديو التى تصور ما تراه الكاميرا فى الكرة ..

رأينا جميعاً فى ضوء الغرفة الخافت أشنع وجه يمكن أن تراه .. وجهها يذكرك بالأسد .. بالجمجمة .. بالثور الهائج .. بالعيلان ...

هذا الشيء يحملق فى عدسة الكاميرا للحظة ثم يتحرك بجسد حرسفى مخيف لأعلى ...

تبادلنا النظرات .. ما هذا الذى رأيناه ؟

فجأة تلقى القبطان اتصالاً من الهاتف الصغير فى الغرفة .. مد يده يلتقط السماعة ، أصغى بعض الوقت ثم نظر لنا فى قلق وقال :

« مجال كهرومغناطيسى غريب .. البوصلة تلتفت .. معظم

الأجهزة لا تعمل بكفاءة .. ماذا يدور هنا ؟ »

قلت له فى عصبية :

« ارفع الكرة .. الآن ..! »

بدأ انه اتخذ نفس القرار . فأتجه لمكبّر الصوت وأصدر القرار لمشغلي الونش ...

سمعنا الصرير وبدأت السفينة تهتز .. ونظرت للشاشة فראينا الكاميرا ترتفع فوق مستوى الماء .. نرى نظرة باتورامية للبحر من أعلى ثم دارت الكاميرا مع دوران الكرة فראيت مشهدا عجيبا ..

« يا إلهى الرحيم ..! »

أولاً كن الدخان يتصاعد بكثافة من سطح المحيط .. غار غريب لن أندھش لو تبين أنه غار الميثان .. ثم دارت الكاميرا أكثر ...

صرخ القبطان فى الهاتف :

« شغل المحركات فوراً .. أقصى سرعة .. اطلقوا بداء

استغاثة (ماى داي) .. »

لكن بدأ أنه ما من أحد يصغى له . كان المشهد مقزعا ..

على سطح السفينة كان البحارة يصرخون ويركضون ... ما الذى يطردهم ..؟ لا أعرف .. حتى اللحظة لا أستطع وصفه .. ألعن مجموعة من الشياطين والكائنات التى تشبه المذءوبيين . وكائنات أقرب لمصاصى الدماء وخفافيش الدمية ...

كان البحارة يتساقطون كالذباب

كانوا يتمزقون ..

ورأيت كائناً من تلك الكائنات يرتفع للسماء بجناحين كجناحي وطواط ...

سمعت الضحكة السوداء فى أنفى .. صوت كالبرر يغريك بأن تسمع أكثر ... صحت وقد بدأت أقهم :

« الهرم !.. هذه فتحة لجانب النجوم ..! الهرم فتحة بخرج منها كائنات جانب النجوم لعالمنا !.. عندما تمر سفينة فوق مركز المثلث فى لحظة يعينها تهجمها هذه الكائنات .. بعضها يحلق فلا غرابة فى أنها تسقط الطائرات أو تعطل محركاتها !.. ما براه أممنا هو إعادة تمثيل لما حدث للسفينة (مارى سلسنى) .. »

قالت ماجى فى عدم فهم :

« لا أعرف ما جانب النجوم هذا .. »

« هى فكرة راسخة فى التراث الرومانى والمحرى لكنها حقيقية .. أنا ذهبت هناك من قبل . لا وقت للشرح . اذهب قادمون لنا .. »

هتف القبطان والعرق بغمر وجهه :

« ورجالى ! .. »

« لقد ماتوا بالفعل . صدقتى .. أنا أعرف ما أقول . علينا الآن أن ننقذ أنفسنا . يجب علق هذه الغرفة بإحكام .. »

قالت ماجى وقد بدأت تتوتر :

« وهل يصمد أى باب أمام هؤلاء ؟ .. »

« أعتقد أنه سيصمد .. فنلزم الصمت ولأمل ألا يشموا

رائحتنا .. »

أغلقت الأبواب الثقيلة بإحكام . ثم قبعنا نصفى لصوت الصراخ والتمزيق والاستعانة . للاسف كان كادر الكاميرا مظلمًا الآن

ويبدو أن المسوح قطعت الحبل السري . .. وارتجف القبطان وهمس وهو يعض على شفته السفلى :

« رجالى .. كان يجب أن أموت معهم .. »

قست فى غلطة .

« صه . لن تفيدهم بشيء بهذه المواقف المسرحية .. لا شيء يضايقنى مثل الحماقة . سيموتون هم أو نموت جميعًا .. عليك أن تختار . ربما تنتهى المذبحة وترحل تلك الكائنات »

فجأة سمعنا صوت محرك طائرة عمودية فى الخارج . بدأت أنفاسنا نهذاً قليلاً . وتوقعنا النجاة .. هت .. بووووم ! .. سمعنا صوت انفجار مدو اهتزت له السفينة .. ثم خمد الصوت ..

قلت همسًا :

« سقطت على الأرحح . رقم جديد يضاف لضحايا مثلث

برمودا .. »

يمكن تخيل ما حدث لطاقم الطائرة .. أسوأ شيء أن تعتقد أنك منيع محصن فوق الأجواء ثم يقتحم شيطان قمرة القيدة ..

لا بد أن الكابوس استمر ساعات لا حصر لها .

كنا هناك فى الظلام نسمع صوت العواء والزئير والخوار والصراخ والتمزيق والأكين .. كنا هناك فى الظلام يرتحف . كنا هناك فى الظلام نحاول التماسك .. نعتقد أن طاقم السفينة هلك كله . شياطين جانب النجوم لا تبقى شهودا .. لكن ربما لم نستطع الوصول لنا فى هذه الغرفة .. ربما لم ندر بوجودنا ..

من هلكوا كان حظهم أفضل بالتأكد من حظ من تم جرهم إلى جانب النجوم ليعيشوا هناك للأبد .

ساد الصمت من جديد فى النهاية ..

وعندما جاء الصباح التالى لم يجسر أحدنا على الخروج لنعرف .. لكننا سمعنا محرك طائرة عمودية أخرى . وبدأ جهاز اللاسلكى يصيح .. لقد جاء طائرة أخرى تبحث عنا .. وهذه المرة لم يحدث انفجار مروع ولم تسقط

* * *

أمضينا أياما عدة تحكى القصة فى فلوريدا .. ثم استطع أحد فهم أى شيء . ما يعرفونه هو أن طاقم السفينة اختفى كله فى ظروف غامضة وأن طائرة هليكوبتر جاءت لنجدت تحطمت .. احك هؤلاء القوم العصبيين نافدى الصبر عن جانب النجوم ، ولتر كم هم ظرفاء بصدفون كلامك لأنك أنت .. بالطبع لا أحد يصنق حرفاً مما أقول ..

فى النهاية قرر الجنرال (وايلر) اعتبار العملية فاشلة ، يتم تأجيلها الى وقت آخر . جل ما استطاع فهمه هو أن مخلوقات بحرية متوحشة هاجمت السفينة .. وبدأ له أن هذا جدير بحملة أخرى من علماء الأحياء المائية.

كنت اعرف أنهم لن يجسروا على عمل حاسم .. مثل قصف المنطقة بقبلة ذرية ، لأن المنطقة مأهولة وتقع على خطوط ملاحية هامة .. سوف تبقى الفجوة مفتوحة وسوف تندفق منها المسوح إلى يسوم الدين . وهكذا تدفع بعض السفن ثمناً غالياً بينما تنجو أخرى بمعجزة ..

المجلة الاسكتلندية ظفرت بتقرير ملفق وغامض .. تقرير يشير خيال القراء لكن من دون حقائق كالقوى رابده ، ولهذا لم يعرف

أحد قصة الهرمين إلا بعد أعوام مع (ماير فيرلاج) لو كان له وجود فعلاً .

أما نحن فقد أجبرونا على تقديم وعد بأن نطل القصة سرية بحسب الأمريكان لفظة Classified بخاتمها الرسمي الصارم كما تعلم

لن نحكى أى شئ مما رأيناه .. وقد التزمت بهذا الوعد لفترة طويلة جداً ، لكنى اليوم أشعر بحاجة للتخفف من وعدى ، خاصة وموعدى مع الرحيل يقترب ، وكل الناس تعرف تقرير (فيرلاج) الآن ..

هذا هو تفسيري الخاص للعز مثلث برمودا . ربما هو التفسير الوحيد وربما هو خليط من عدة عوامل مثل الموجات الكهرومغناطيسية وغاز الميثان . بعض العلماء يعتقد أنه لا يوجد لغز آخر لأن الدراسات الاحصائية تؤكد عدم وجود اختلاف بين معدل عرق السفن في المثلث وخارجة . حسن ، موافق بشرط أن يفسروا لنا أحداث السفينة (ماري سلسيتى)

فجوات جانب النجوم محيطة دوما ، لكنها فى كل مكان وعلىنا أن نقبل وجودها ونفقد لها قدر الإمكان . فقط تأكد من أنه لا يوجد فجوة فى بنى السلم فى داركم او مدفن أسرته .. تأكد من أن الفجوة ليست فى خزانة ثيابك ...

(ع)

عزت
والنحات

- 1 -

في حديقة المستشفى جلست .. مقعد خشبي ومنضدة صغيرة هناك . لا أشعر بأى ألم . اقترحت على الممرضة أن اجلس في الشرفة . لكنى كنت أشتهى الشعور بالعشب تحت قدمي . الشعور الأندى المحبب .. رائحة الأرض .. رائحة الأزهار مع نسو المساء .. جو حزين مرهف يوشك على أن يبكي ..

هناك قط وقف برمقني في شك ، ثم تناوب وابتعد ..

رائحة الجو هذه .. رائحة الجو العذبة هذه .. تعصر قلبي اعتصاراً . يحز في نفسي أنني سأترك هذا كله عن قريب ، لكن أعتقد أنه لن يكون عندي وقت لإدراك ما فقدته هل أعرف بعد الموت من أ كما تساءل إيليا أبو ماضي يوم ؟ ..

هناك على مقعد قريب في الحديقة جلس د. سامي يفعم صدره بالهواء ..

الطبيب النفسي الإسكندري الراقى ، الذي مررت بأغرب القصص في القبلا التي يعيش فيها . منذ أعوام اجتمعنا عنده

في ليلة عاصفة وراح كل منا يحكي قصته مع الرعب . وأى نوع من الرعب يثير فزعه أكثر من سواه .. وفي مرة أخرى كان هناك حفل عريب الشكل .. حفل بدا كأنه تكرر للتاريخ الفرعوسي . في مرة كان زميلي عضواً في ناد للفيلان وأنقذته بصعوبة بعد أن كاد يصير غولاً ..

أى تاريخ طويل ، تفاصيل عديدة لدرجة أنني لا أتذكر الكثير ..

وضع د. سامي ساقاً على ساق ونظر في ساعته . بالتأكيد يتعجل العودة للإسكندرية. كدت أبكي .. ابقى معي بعض الوقت أرجوك .. أنا بحاجة لصديق ...

كانت هناك أغنية قديمة يطلب فيها المطرب من طائر أبي الحن أن يظل معه وقتاً أطول . ثم يتذكر أن من مصلحة الطائر أن يطير مبتعداً ...

قال لي وهو يرفع جواره :

« هل أنت خائف يا رفعت ؟ »

سؤال غريب .. قلت له في صدق إنني لست خائفاً . لست خائفاً من تجربة الموت لكنني أخشى الحساب .. أخشى اللحظات الرهيبة القادمة ..

ثم أضفت مستدركاً :

« طبعاً لا أريد أن أتلقى ألمًا لحظة الاحتضار .. أريد نهاية نظيفة كحظة انقطاع الكهرباء .. »

كان يعرف وأنا أعرف أن هذا احتمال واه جداً .. الألم قادم لا يؤخر موعداً .. إنه موجود لكنه لم يتوحش بعد ...

ساد صمت ثقيل .. رائحة الليل المعذبة العذبة هذه ..

قال بعد قليل :

« هل أنت نادم على عدم تكوين أسرة ؟ »

« بصراحة لا .. لم أشعر قط بحاجة إلى أن تكون لدى أسرة .. لا أعتقد أن جيناتي ثمينة لدرجة أنه لابد من بقائها على الأرض ، ولو كانت ثمينة فلا بد أن إخوتي قد قاموا بدورهم وحافظوا عليها. ثم إننى لم أشعر قط بأننى وحدى . كان هناك دائماً من يساعدنى .. »

ثم أضفت باسمًا :

« هل تعرف قصة بلدينا الذى وثب بالمظلة وقيل له أن يشد الخيط على ارتفاع 300 متر ..؟.. نسى أن يشد الخيط ، ثم

تذكر ذلك على ارتفاع 10 أمتار .. هنا قال لنفسه : لا مشكلة .. عشرة أمتار ستكون هينة ويمكن وثبها ! .. حياتى كلها تكرر لهذه القصة تأخرت فى الزواج قليلاً ثم وجدت أنه لا بأس من استكمال الأعوام الباقية بلا زوجة .. »

ضحك طويلاً .. هذه مزية مهمة فى د. سامى .. وقاره وأرستقراطيته جعله لم يسمع معظم النكات. كل النكات جديدة بالنسبة له حتى (واحد جه يقعد على قهوة قعد على شاي) ...

قال لى بعد ما هذا قليلاً :

« لا تخف .. سوف تقهر هذه الأزمة .. »

قلت فى فتور :

« انت لا تجيد الكذب يا صاحبنى .. لست حزينا .. كل شيء ينتهى .. فقط نهايتى اتخذت هذه الصورة .. لكن أرجو أن تسدى لى خدمة مهمة . أريد أن أجد د. رمزى حبيب .. اتصل به وقل له إننى هنا .. »

وعدننى بأن يبحث عن رمزى ... المشكلة هي أن هاتفه لا يرد ولربما كان خارج مصر ..

ثم نظر لساعته وطلب مني الإذن كي يعود الى الإسكندرية .
فوافقت اسفًا .. طر يا طائر أبى الحن . طر بعيدًا عنى ...
وجلست وحدى فى ضوء الغروب الخافت أقرب القطة التى
ترقبني. ولا أعرف متى جاءت الممرضة لتقودنى لعرفتى .

* * *

بينما الممرضة تقادنى للغرفة . رأيت نهاية الممر تسبح فى
ذلك الضوء الخافت السقيم ..

رأيتة يمشى هناك مبتعدًا .. من ؟ .. ليس د. سامى طبعا ..
إنه ذلك الطيف الذى رأيتة جوار فراشى منذ أيام .. نفس الطيف
المراهق .

قلت لها فى توتر وأنا أعتصر ذراعها بشراسة ضابقتها

« هل ترين هذا ؟ .. »

قالت فى ضيق وقد توصلت لقرار بسيط هو أبى ووج
أو ذئب :

« هذا ماذا ؟ .. »

« الفتى الذى يمشى فى العمر .. »

تحول صوتها إلى كتلة من الثلج تنهال على رأسى :

« لا يوجد فتى يمشى فى العمر لو كان الأمر يهكم ! .. »

هكذا يمكن القول إننى دخلت مرحلة اختلال الحواس .. إذن
فليت قيصر .. قاله قيصر قبل أن يهوى أرضا بطعناات
المتمردين .. وخاصة طعنة بروتوس ..
كنت أخشى الخرف .. أخشاه كثيرًا .

ها هو ذا قد جاء

وفى الفراش رحت أحول الكتابة بعض الوقت .. كنت فى تلك
الايوة أسجل أحداث أسطورة العلامات الدامية . قصة كتاب
نيكروميكون . عندما خطر لى خاطر مروع .. هل عشت حقًا
هذا كله ام أن حياتى كلها هلوسة ؟ .. لربما كان هذا كله هذيانًا
وقع فى الفترة الاخيرة تحت تأثير السرطان وتأثير العقارات
المخدرة التى أعيشها ؟ ..

كم من مرة عشت حياة كاملة في الحلم ، ثم صحوحت لأدرك
أننى لم أتم سوى ربع ساعة ؟! ثريما اخترع عقلى الباطن ماضيا
كاملاً لى ؟

لكن هذا مستحيل .. معى عزت وماجى ود. سامى وقد زارنى
كثير من أهل قرىتى وأخى .. ما أنا فيه حقيقى .. لا شك فى
هذا ..

بدأت أسترجع خيوط حياتى القديمة ..

قصة الدمية .. دمية الفتيش .. هناك أكثر من دمية فى حياتى
كنموذج للسحر بالمحاكاة .. لكن هناك قصة دمية لم أحكها بعد ..

كنت مع عزت فى أحد المعارض بالإسكندرية .. أنت تعرف
اهتمام عزت بالفنون الشعبية .. النحت بالذات. صحيح أنه
نحات فاشل (وصديق رائع) بالفعل ، ورأى أن تماثيله قبيحة ،
لكه علمنى الاهتمام بهذا الفن .. وأعتقد أننى صرت أملك عين
ناقد فنى محترف ..

كنت أمشى مع عزت بقماته النحيلة ومحياه القاتم بين
المعروضات ، يبدو أن كل فنان فى مصر قضى عدة ساعات

ليصنع خرشوفة مشوهة أو نمر بلا ذراعين ولا قدمين ولا رأس
ولا ذيل .. كنت أشعر بهمل رهيب ..

فجأة تصلب عزت وهو يرمق تماثلاً غريباً ..

الواقع أنه حميل .. لو دققت النظر أكثر لأدركت أنه نحت بارع
فعلاً. صورة كاريكاتورية جميلة للمطربة الجنوب أفريقية التى
كانت فائقة الشهرة وقتها (ميريام ماكيبا) .. ماما أفريقا ..

درت حول التمثال وبدأت أشهق .. أعترف أن هذا عمل
متقن .

هناك لدى الغربيين ما يدعى (متلازمة ستندال) .. أى الشخص
الذى تتسارع أنفاسه ويوشك على فقد وعيه عندما يرى عملاً
فنياً متقناً .. للمرة الأولى أفهم هذا المصطلح وأنا أرى عزت ..

دنا من البطاقة الموضوعية جوار التمثال وتلخصها ..
وتلا الاسم بصوت عال :

— « بيتر كراكوس .. ماكيبا .. »

الاسم أجنبى كما هو واضح . رتيته غريب فعلاً ... لا أعرف
جنسيته ، وإن أمكن أن يكون يونانياً ..

تركنتى عزت وهرع إلى صاحبة القاعة يسألها عن بعض
البيانات ، ثم راح يدون العنوان فى بطاقة صغيرة. بيتر كراكوس ..
شارع (...) .. محرم بك ...

قال لى بلهجة متوسلة :

— « رفعت .. لا بد أن أقابل هذا الرجل. لابد أن أراه ..
لو أردت العودة اليوم للقاهرة فأنا أعفك من مرافقتى .. »

قلت له فى مثل :

— « لا مشكلة . سوف أوصلك هناك ثم نعود مغا بسيارتى .
لن أقود السيارة وحدى كل هذه المسافة ليلاً »

هكذا تم ترتيب الأمور ووجدت أن عزت أجرى اتصالاً بالبنحات ،
وبعد دقائق كنا ننطلق بالسيارة للقاءه .. لم يقل حرفاً عن هذا
الاسم العجيب .. هو فى غيبوبة إذن .

عندما فتح لنا الرجل باب شفته عرفت أن هناك شيئاً غير
مريح بصده ..

— 2 —

كراكوس فى الستين من عمره .. ملامحه ضخمة غليظة ..
اصنع الرأس تحيط بفمه لحية دائرية من طراز (دوجلاس) .
نظرات ثاقبة عابثة قليلاً . هل تعرف صور أنطون لافى مؤسس
كنيسة الشيطان فى أمريكا ؟ .. يمكنك إذن أن تعرف كيف يبدو
كراكوس ...

شعرت بتقلص فى معدتى والحمض يتزايد ..

قال لنا وهو يفسح الباب :

— « زيارتكم تسعدنى .. قلب يلقي المرء من يهتم بالفن لهذه
الدرجة .. »

لم استطع قبط تبين لهجته .. غامضة .. لا يشوبها شيء من
ناحية كونها عربية ، لكن — بالتأكيد — ليس هناك عرب كثيرون
اسمهم كراكوس ..

سألته مباشرة ونحن ندخل :

— « أنت لست مصرياً يا سيدى .. من أين — »

كنت أعرف على الأقل أنه ليس د. لوسيفر .. د. لوسيفر
أتعنى فى حياتى كثيراً حتى صرت أشعر بوجوده بسهولة. ليس
هو ...

قال باسمًا :

« الجنسية لا تهتم .. كلنا بشر نعيش تحت شمس واحدة
ولنا مصير واحد .. »

هكذا عرفت أنه لن يرد .. سوف يعاينى أولاً ... كنت اتصيب
عرفاً بعد صعود هذا الدرج المرعب (طابقان) لهذا، قدم لى
بعض الماديل الورقية لأجفف وجهى ، وكان يتسم بخبث .

عزت لم يكن يتابع هذا الحديث . كان يشفق وهو ينظر الى
التمائيل التى تناثرت فى المرسوم. تحف فنية حقيقية . الحقيقة
أنه كان على وشك دخول نوبة استدال اخرى ..

الثقة لم تكن فاشرة جداً ، لكن لها ذلك الطابع المحب للنفس
الذى يميز أنثيليهات الفنانين. فى كل ركن قطعة لم تكتمل او لها
قصة .. على الحدار أوراق معلقة مثبتة بدبابيس ضغط عليها
إستكتشات عدة بقلم من الفحم. هناك أحجار فى كل ركن .. هناك

تمائيل ختسية .. هناك معدات نحت وأزاميل .. هناك علب طلاء
فارغة امتلات حتى الحافة بإعقاب السجائر .. هناك جو يعبق
بالدخان. هناك جهاز تسجيل عملاق يردد أغاني أم كلثوم ..

لا اعرف من هو كراكوس هذا لكنه يستمتع بالحياة كقنان
حقيقى

مشى الرجل معنا وهو يراقب تعبيرى وجهينا فى استمتاع
ورضا ، ثم انه بدأ يعد لنا الشاى على موقد بريموس صغير .
شاى الفنانين هذا حيث يتم وضع مسحوق الشاى بكف اليد ..
ارجو أن يقلل كمية الصراصير فهى تتعب معدتى .

رجل غير متزوج . هذا واضح . لا أحد يملك هذا العالم
وينزوج. لكن منظره وغد .. هناك نساء ماجنات كثيرات
حسيسات خلف هاتين العينين . لا بد أن له امرأة مختلفة كل يوم .

الجو قريب جدًا من مرسوم عزت مع اختلاف المستوى الفنى
طبعًا .

أما عن التماثيل فكانت تنتشر فى كل ركن ..

كانت هناك تماثيل فتيات مستحجرات يشعرون بالخجل ويغطون أجسادهن في خفر. لا أفهم في أنواع الصخور لكن أعرف هذه الخيمة السوداء .. يبدو أن تمثال خفرع في المتحف المصرى من نفس الخامة ..

هناك تمثال رجل يسقط على الأرض ويصرح هياك كيب يتلوى ..

أتذكر مشاهد كهذه من يقايا مدينة بومبى ..

لكن هذه كلها أعمال تقليدية .. بارعة جداً لكنها تقليدية . لكن السحر كل السحر كان فى تلك التماثيل الكاريكاتورية لأشخاص تشعر أنك تعرفهم .. كان هذا فنً جديداً وقتها بالنسبة لى .. وجه شخص تشوّه وتبرز عيوبه بشدة ثم تصنع تمثالا مجسما لهذا الوجه .. هناك تمثال بو اثنين بهذا الطابع فى متحف محمد محمود خليل ..

هذا رجل بارع فعلاً ..

كانت هناك كاميرا مثبتة الى حامل ، وكشاف ضوء ومظلة ..

قال وقد رأى اتجاه نظرى :

— « أتعامل مع عدة مجلات .. هذه طريقة جديدة كالرسم الكاريكاتورى .. تمثال مجسم للوجه .. »

« ما عند باب الغرفة فكان هناك كلب ممشوق يقف فى وضع متنبه .. بذكرك جدا بتمثالى ابن اوى على باب مقبرة توت عنخ آمون .

قال كراكوس :

— « أنت تعرف ارتباط ابن اوى بالتحنيط عند الفراعنة .. الآله أنوبيس ليس سوى رجل له رأس ابن اوى .. »

قلت فى ملل لأن هذه معلومات أعرفها :

— « المصريون القدماء لاحظوا أن ابن اوى يرتد المقابر دوم بحثاً عن رزقه . لهذا اعتقدوا أن له دحلا بالتحنيط . هذا مفهوم .. »

قال لى كراكوس وهو يناولنى كوب شاي صغيراً سخناً :

— « لقد شُرفت هاتفياً بمعرفة صاحبك .. لكن لم أعرف من أنت بعد .. »

قدمت له نفسى فأخرج قلب صغيراً ودون الاسم فى مفكرة .

فى الغرفة المحصورة وحسدت مشهداً غريب بعض الشيء
عدداً من الجماجم على منضدة .. سبع حماجم على وحه التحديد
كل جمجمة فى محجريها شمعتان قصيرتان . يمكن أن تشعل
الشموع ليصير التأثير مفزعاً .. هناك فيلم رعب قديم مخيف
اسمه (جماجم جوناثان دريك السبع) . كان الساحر يحس
أرواحاً فى الجماجم ويستردها عندما يشعل الشموع .. وكان
الغرض هو عرض فى الملاهى يعتمد على أصوات مختلفة. إلا
ترى أن التشابه قوى جداً ؟

للأمانة كانت هناك عظام ملقاة هنا وهناك .. مما يجعل مشهد
الجماجم مبرراً نوعاً .. كراكوس نفسه قال لى :

« فن النحت يرتبط بعلم التشريح جداً . فيما مضى كان
الفنان يدرس التشريح فى روما قبل أن يبدأ النحت .. »

هذا مفهوم .. لكن سبع حماجم ؟ .. ولماذا الشموع ؟ الأمر
يبدو أقرب للسحر الأسود بالنسبة لى .. لكن سأظل صامتا ..

ازداد الشك عندما رأيت مجموعة من الدمى القماشية متقنة
النصنع معلقة فوق مشجب .. لو لم تكن هذه دمية (فتيش)
فماذا تكون ؟

كان عزت قد أنهى جولته المنيرة .. أحب هذا فيه كثيراً .
هناك درجة من الغرور وضيق الأفق لدى كل فنان تجعله عاجزاً
عن رؤية تميز الآخرين .. تجعله مغلقاً لا يرى سوى نفسه .
ويظن الموهوبين الذين هم مثله أو أفضل .. لكن عزت يختلف ..
يمكنه أن يصرخ لو رأى عملاً فنياً متقناً .. وكان دوماً يردد
مقطع شعر صلاح جاهين :

« أنا أحب أقول الشعر ف الحلوين .. والحلو أقول له
يا حلو ف عيونه .. »

أعلن عزت أن هذه الجرعة من الانبهار تكفيه. فقط بتمنى أن
يسمح له كراكوس بالعودة من وقت لآخر ..

قال كراكوس فى لطف :

— « بالتأكد .. بيتى مفتوح لك فى أى وقت . اسمح لى بأن أقدم هدية صغيرة .. »

ودخل غرفة داخلية ثم عاد حاملاً صندوقاً صغيراً مغلفاً بورق أصفر ..

تناول عزت الهدية فى رضى .. وشكر الفنان وانصرفنا ...

— 3 —

الغابة عميقة مظلمة عذبة ..

لكن لدى مواعيد يجب أن ألتى بها ..

وأحياناً يجب أن أقطعها ..

قبل أن أنام ...

روبرت فروست

* * *

فى القاهرة احتجت لوقت طويل جداً حتى يفيق عزت من اتبهاره.

فى الطريق للبيت تصرفنا كالعزائب الحقيقيين ، وابتعنا بعض الجبن والزيتون والحبز . فى شقة عزت اعد لنا الشاي بالصراصير ورحنا نلتهم عشاءاً بسرعة .. أنا مرهق فعلاً من القيادة. سوف أتساول عشائى وأنام ولنكون من الليالى النادرة التى أنام فيها نياماً !

لما فرغ عزت من هذا فتح الهدية التى جلبها معه .. كانت عبارة عن كف .. نحت لكف من حجر البازلت الأسود — لو كنت على حق — شديد الإتقان . أعتقد أنها تصلح كمطفأة سجانر كذلك ..

فى الواقع لست متحمسًا جدًا للنحت القريب جدًا من الواقع .. كل الفنون القريبة من الواقع تحدث غصة فى حلقى . لأننى لا أشعر بوجود الفنان فى هذا كله ..

قال عزت وهو يتفحص الكف :

— « مذهلة .. هذا الرجل كارثة .. »

قلت مفكرًا :

— « هو كارثة فعلاً لكن ليس كما تقول أنت .. كراكوس .. من أى بلد جاء هذا ؟.. دى فتيش ؟.. جماحم ؟.. هذا ساحر أسود ومن لا يرى هذا أعمى أو أحمق .. »

أضاف فى افتتان :

— « إنه فنان .. هذا كل شيء .. »

— « وأنت غبى .. هذا كل شيء .. »

بهذه الكلمات الرقيقة انتهت الأمسية .. وعدت لشقتى ..

* * *

عدد من رجال كفر بدر جاءوا يزوروننى فى المستشفى .. ومعهم أختى ..

التفتحت والشوارب وعلب السجائر المربعة البيضاء .. ونظرة الخطورة والجدية ..

من جديد ذلك الجو المتوتر المفتعل والضحكات التى تدرك على الفور أنها ليست من القلب . فقط مال زوج أختى على يسائى إن كنت بحاجة إلى مال . بالطبع يدركون جيدًا أننى زاهد . لا أملك سوى راتب الجامعة ولا أملك عيادة . وبالطبع لم أعتن لحظة بأن أملك أرضًا ..

من يعرفوننى جيدًا يدركون أننى لست ثريًا ..

لكن من يهتم ؟

عندما لا تكون لديك أسرة ، وعندما لا تنجب ، فأى مبلغ يكفيك .. بل بفيض .. لهذا اعتدت أن أعتبر نفسى ثريًا .. كلما أردت وجدت .. هل هناك وضع أفضل من هذا ؟ . بينما الناس من خوف الفقر فى فقر ..

قلت له شاكرًا إن كل شيء على ما يرام ..

نفقات العلاج ليست باهظة . عندما تضيق سبل العلاج فهو لا يكلف تقريبًا . من يكلف علاجهم الكثير هم الدين ما زال لديهم أمل ما ..

الدموع في عين أختي ، لكنها تلمسك ..

كفر بدر .. المنصورة .. أقرب مكانين لقلبي حيث الجذور ..

لكنني صرت غريبًا بالنسبة لكفر بدر دائما. قضيت وقتًا طويلا في المدينة بحيث لم أعد أفهم مشاكل الفلاحين والجمعية الزراعية وسداد الأرض وبذك التسليف واوينة الماشية . وصرت بالنسبة لأقاربي أغرب وأغرب .. دعك من أنهم عاجزون فعلاً عن فهم الرجل الذي لم يتزوج .. لا بد أنه محل أو محنون ..

عندما رحلوا جلست على القرائش بعض الوقت . ثم تحاملت على نفسي إلى الحمام ..

سوف تأتي ماجي بعد قليل . يجب أن أخلق ذنبي الشائبة هذه. تجعلني أبدو مرهقا شائخا جدًا ..

بينما كنت أخلق ذنبي أمام المرأة كنت أتسامل عن سبب اختفاء عزت ..

* * *

في تلك المرة اختفى عزت مدة أسبوعين بعد زيارة ذلك النحات السكندري ..

كم من مرة قرعت الجرس أو انتظرته فلم يظهر ..

كنت أعرف أنه يمضي الخميس كل أسبوع في الإسكندرية ، وأعرف أنه بالتاكيد يزور هذا الكراكوس لكن أين هو ؟ .. لماذا لا يظهر يوم السبت ؟

مر الوقت وبدأت أشعر بقلق حقيقي ..

لم يعد مفر من فتح الشقة والبحث عن شيء .. ربما ترك عزت رسالة لي. أنت تعرف أن كل واحد منا قد ترك نسخة من مفتاح شقته لدى الآخر .. احتاج عزت لهذا المفتاح ذات مرة لينقذ حياتي عندما راحت سنى تصفر ...

هذا هو الوقت كي أدخل أنا ..

فى حذر فتحت باب الشقة ودخلت .. أضأت النور الكهربى.
رائحة خائفة فعلا لأنه لم تتم تهوية الشقة منذ فترة. لا أعتقد
أننى سأجد جثة عزت شخصة البصر ملقاة هنا أو هناك ..
لا أشم رائحة تعفن ، ثم إن عزت ليس من الطراز الذى يموت
بسهولة وصمت .. سوف يملأ الدنيا صراخا ..

لا يوجد أحد .. لا يوجد أثر ..

وقلت ثابتاً أنظر للكف الحجرية التى جاء بها من عند
كراكوس هذا ..

دنوت منها أكثر وتاملتها .. ثم شعرت بشعر رأسى ينتصب ..
أعنى ما تبقى منه ..

* * *

فتح كراكوس الباب ليجدنى أمامه. ثم بيد مرحباً وبدت نظرة
شيطانية غير مريحة على وجهه ..

— « مرحباً يا دكتور .. يؤسفنى أنك قطعت كل هذه المسافة
فأنا مشغول ولا أقدر على استقبالك .. »

قلت فى براعة :

— « اسمح لى على الأقل بالنقاط الأنفاس .. لا تتوقع أن
أعود للقاهرة حالا .. »

أفسح لى الباب فى ضجر ، وسألنى :

— « أين صديقك ؟ .. »

— « كنت أنوى أن أوجه ذات السؤال .. »

فارع القامة قسوى البدن فعلاً .. يمشى راسخاً أمامى وهو
يكذب . أعرف أنه يكذب .. نساء كثيرات فى عينيه خلف
القرنية ..

قال بصوت هادئ :

— « لم أره منذ زمن .. حسبت هديتى لم ترق له . .. »

قلت وأنا أمشى بين التماثيل المتقنة التى تأثرت هنا وهناك :

— « هل تعرف أسطورة ميدوسا ؟ .. المرأة التى لعنها زيوس
فتحول شعرها إلى ثعابين ، وصارت لها نظرة تحول من تنظر له
إلى حجر ؟ .. »

قال ضاحكاً :

— « من لا يعرف هذه الأسطورة ؟ .. تعنيت لو عندى هذه الموهبة إذن لما بذلت أى جهد فى صنع التماثيل .. كنت سأنزل إلى الشارع فأنظر للناس وأجمع ما يتحولون له .. »

— « من أنت حقاً ؟ .. »

توقف واستدار نحوى .. نظرة نارية التمتع فى عينه . ليست نظرة من أهين بل نظرة من افتضح أمره . قال لى فى ثبات :

— « اسمى كراكوس .. »

وحدث مطرقة عملاقة مستندة إلى جدار فأمسكت بها .. وفلت وأنا أتحمس ثقلها على يدي :

— « اليوم وقع شيء جعلنى أشم هديتك لعزت .. جلبت مطرقة عملاقة وهشمتها السبب هو أننى ارتبت فى الدقة التشريحية غير العادية . أنت تعرف أنه اتهموا النحات الفرنسى أوجست رودان بأنه يستعمل موديلات حية يغطيها بالنحاس الذائب . ما فعلته أنا هو أن هشمت الكف ، فوجدت ما تعرفه أنت . هذه كف بشرية مقطوعة تغطت بطبقة حجرية »

ثم أضفت وأنا أرفع المطرقة :

— « ليس الأمر قاصراً على نحات نصاب يستعمل بقايا جثث . هذا سهل .. لكنى أعتقد أن هناك نوعاً من اقتناص الأرواح .. نوعاً من السحر الأسود . تلك التماثيل الكاريكاتورية توحى بوجود شياطين .. أليس كذلك ؟ .. أنت تحت وجوه شياطين .. لم ألق نحاتين كثيرين يستعينون بتماثيل فتيش وجسم فيها شموع .. »

وقبل أن يفهم ما فعلته هويت بالمطرقة على تمثال مستحمة عارية تدارى عورتها بأوراق اللوتس .. تهشم الحجر .. واستطعت أن أرى لحماً بشرياً . لحماً اسودّ وتحلل منذ زمن ... كأنه جسم مومياء ..

نظرات نارية سلطها على وبدأ يتسم فى وحشية ، فقلت :

— « كل هذا المعرض يعتمد على جثث خطفتها أنت وكسوتها .. ربما لم تخطفها ولكن قتلتها .. لا أعرف كيف نجد عزت هنا ، لكى أعرف يقيناً أنه تمثال يقف فى هذا الأتيليه .. »

مشى كراكوس فى ثبات نحو المشجب الذى علق عليه الدمي ..

قال وهو يتناول شيئاً من جيبه :

— « هذا غباء يا صاحبي .. لا أحد يزور الآخر في بيته ليقول له هذا الهراء .. »

كان يغرس الإبرة في دمية قماشية معلقة على المشجب .. هل تشبهني هذه الدمية فعلا ؟ . لا أريد أن أبقي هذه الفكرة في رأسي .. مستحيل .. ليس لديه شيء من جسدي .. لا أظفاري ولا شعري .. فماذا بوسعك أن يفعل ؟

كان يغرس الإبرة .. بالضبط في الموضع الذي كانت فيه حجرة الدمية .. ضحك ..

قال وقد فهم ما يدور برأسي :

— « أحيانا يكفى منديل ورقي استعملته الضحية .. واضح أنك لا تعرف الكثير .. لقد تركت مناديل ورقية كثيرة في زيارتك الأولى .. والآن »

هنا دق الباب عدة مرات وبغلطة ، فقلت له بلهجة انتصار :

— « أصدقائي من رجال الشرطة قد جاءوا .. سوف يرحبون جدًا بنفتيش هذه الشقة. لو لم أتفق معهم فلربما قررت ان تضمنى إلى مجموعتك .. »

ثم أسرعت نحو الباب وفتحته .. دخل ضابطان ومعهما عدد من رجال الشرطة ...

انتشروا في الشقة . وهنا أدركت الحقيقة المروعة . كراكوس ليس هنا لا أعرف كيف اختفى لكنه فعل ذلك ..

عندما رأوا التمثال المهشم عرفوا أنني لم أكن أهذى . كانوا قد رأوا تمثال الكف قبل هذا طبعاً ، وتأكد صديقي العتيد رجل الأمن عادل من أنني لن أكون وحدي ..

أما عزت فلا أثر له في الشقة

عندما عدت للقاهرة أخيراً وجدت أن أنوار شقة عزت مضاءة .. دققت الباب مرارا ففتح لي مدعورا .. كان قد بدأ بدوره يتساءل عن سبب اختفائي ...

سألته أين كان .. يا له من أحمق ..

قال إنه .. إحم . إنه كان يزور قصة حب قديمة . لقد أمضى أسبوعين في الزقازيق .. لا أعرف خلفيات هذه القصة على كل حال ، لكنني ظلمت كراكوس برغم كل شيء . إنه سفاح لكنه لم يمس صديقي ...

من أين جاء كراكوس ؟

من هو ؟

لا أحد يعرف .. لكنه قتل كثيرين أو نبش قبورهم ليستعمل جثثهم كقوالب لتماثيله. فى التسعينيات من القرن العشرين سمعنا عن مثل مصرى استعمل أجزاء من حثث حقيقية فى تماثيله ، ثم فاحت الرائحة وافتضح .. طبعاً لم أندھش .. كل الحياة حدثت من قبل لكنهم ينسون ..

اليوم وجدته فى المستشفى . أتكلم عن كراكوس وليس المثال المصرى طبعاً . يقف فى الظلال جوار فراشى بالضبط وفى يده تلك الدمية التى تمثلنى . المناديل الورقية قد تؤدى الغرض كما قال .

كان يحمل دبوس .. نظر لى فى توحش وهو يمسك به فى نوع من الغل. ثم قرّبه من الحنجرة ..

هذا ما فعله معى منذ أعوام. لاحظ أن الحنجرة هى قاتلتى .. فهل هى مصادفة ؟ يبدو أن سحر الوغد يتأخر أعواماً عدة ..

قلت له بصوت مبحوح :

— « كراكوس . أنتهت القصة .. لا تفرس هذا الدبوس .. »

لكنه فعل .. هذه المرة كان الأكم جهنمياً وارتميت على الفراش أعوى ... إنه يفرس الدبوس من جديد .. الحقد فى صورة إنسان ..

فقط لمست يدى الجرس فظهرت الممرضة أخيراً .

قلت لها :

— « كراكوس .. »

لكنها ملأت محقناً بالبنيدين وأفرغته فى قناتى الوريدية . وبعد ثانية لم أعد فى عالمنا هذا .. لقد ذاب كراكوس

.....

- 1 -

أنا الآن جالس في الاستراحة بالمستشفى . هي خاصة بالأطباء ،
 لكنهم يسمحون لى بالجلوس .. فأنا منهم لو كنت قد نسيت ..
 كنت منهمكا في تدوين ذكرياتى عن (اسطورة الجاثوم)
 عندما رفعت رأسى لشاشة التلفزيون ، فوجدت مشهدا من فيلم
 عربى .. هناك صياد فى قارب والقارب فى نهر ...
 بدأ سطح مياه ذكرياتى يترقق .. وتذكرت قصة أخرى .

* * *

قريتى . قريتى .

برغم أننى رأيت أغلب بلاد العالم ، فما زال ذلك الحنين
 يحركنى كلما عدت لها . لأتذكر طفولتى ورائحة الأرض ورائحة
 الليل .. حتى رائحة روث اليهام الحاف تثير شجنى .. وحتى
 صوت الغربان .. كل شيء هنا هو جزء من خلاياى .
 لو فحصتها تحت المجهر لرأيت - هناك - فى نواة الخلية كتاب
 صغيرا ودار ضيقة وحقول ذرة وحظرة مشبه .

(ت)

ترنيمة المزيرة

كما قلت لك : أشعر بأننى غريب عنهم .. مشاكلهم بعيدة عنى .. أحلامهم ليست أحلامي ، وبرغم هذا أنا منهم بقوة .. ربما للأرض .. ربما للطين .. ربما لمياه الترعة الرمادية .. أنا ليمونة زرعت هنا ثم اقتلعها أحدهم واحتفظ بها فى ثلاجة باردة بالقاهرة ..

سوف ادفن هنا .. لن أدفن فى القاهرة . بل إننى دفنت هنا من قبل فعلاً .. هل تذكر ؟

لم أكن مسنناً وقتها . كنت فى مبة الصبا كما يقولون .. مفعماً بالصحة والعافية . أكل كالثيران وأدخن كمقلب قمامة وأضحك كالمجانين ..

كانت هذه أيام بعثتى الشهيرة فى بريطانيا .. البعثة التى غيبت حياتى كلها — كما تعرف — وكنت فى إجازة عدت فيها إلى الوطن بعض الوقت ..

عندما أعود للوطن ، أقصد قرينتى على الفور .

عندما جاء المساء التقيت مع صديقى الصبا (جمال)
(محمد) .. أحدهما مهندس والآخر محام . لقد كانت مرافقة

طويلة حافلة ، وإن كنت أمضى أغلب وقتى فى المنصورة لكن لقاءاتنا كانت صاخبة دائماً . عشاء دسم .. مراهقات على التهام اكبر عدد من أعواد القصب أو ثمار اليوسفى .. لعب الكرة .. لم تكن لياقتى عالية قط ، وكانت أنفاسى تنقطع بعد خمس دقائق .. لكى كنت اجلس على كومة من التريس وأراقبهما ..

جمال قسوى البنية ، أسمر .. محمد هزيل ، ذو روح دعابة عالية .. يعرفان معظم أسرارى وأعرف معظم أسرارهما ..

قال لى جمال إنه يدعونى للعب ..

كان الظلام دامساً فشعرت بقشعريرة تسرى عبر عمودى الفقرى . مشينا وسط الزراعات المظلمة لا نسمع سوى صوت كلب ينبج من بعيد .. أقدامنا تنغرس فى الطين .. طيور الليل الغامضة تصدر صوتها المميز ..

هنا تهبط منحدرًا صعبا .. خذ الحذر لأن الترعة — البحر كما يصفونه — هى نهاية هذا المنحدر ، وأنت لا ترى أى شيء فعلاً .. كأنك تنحدر إلى عالم أسود مطلق ..

تمسك بيد جمال محاولاً ألا تتعثر . بينما محمد يضيء الكشف الخافت في يده .. إنهما يتصرفان بسلاسة لأنهما ابنا القرية ويحفظان موطنى القدمين ..

أخيراً تجد القارب المتأرجح الذى ينتظرك . تضع جسدك فيه بحذر .. أى حماقة هذه التى تقوم بها ؟! أى غباء ؟! لو أنك سقطت فى الماء هنا فلا دية لك ولن يجذك أحد .. بالطبع إلى أن يجدوا جثثك الطافية المنفخة ..

كم قلت لك .. أعتقد أن كل عمل أخرج فى التاريخ كان سببه الخوف من الاتهام بالجن .

القارب يتأرجح بينما يتبادل الشابان المزاح ، وينزلق القارب فى حفة فوق الماء كأنه قطرة زيت . بينما جمال يمسك بالمجدافين ..

طش .. طش .

كأننا نسيح فى بركة من حبر أسود ..

أنظر للسماء قارها مدهونة بفقس الحبر .. لكنها مليئة بالنقوب .. ثقب يعتقد الناس أنها نجوم . تذكرت نكتة

(شيرلوك هولمز) عندما نام فى الخيمة مع واطسن ونظر للسماء .. سأل (واطسن) : « ما الذى تقوله لك هذه النجوم ؟ » . ذكر واطسن استنتاجات كثيرة . فقال هولمز : « معنى هذا أن هناك من سرق الخيمة من فوقنا !! »

القارب ينسل وسط التربة .. واضح أن صفحة الماء ممتدة إلى أقصى الجانبين ، والأشجار المطلة مدثرة فى الظلام كأنها أشباح تراقبنا .. وورد النيل ينزاح لنعبر من خلاله ..

جمال ينهث ... ينهث

الوقت يمضى ... يمضى ببطء ..

نظرت إلى بعيد .. الظلام دامس حقاً .. لكن ما هذا الشيء الذى يقف فى وسط التربة على بعد عشرين متراً ؟

- 2 -

كلما دقت النظر أكثر ، بدا لى الأمر مريباً .. كأننى أرى النصف العلوى لامرأة تقف منتصبية وسط الماء .. الظلام دامس والأضواء الواهنة خادعة جداً ، لكنى أعتقد أن هذا هو المشهد فعلاً ..

ثم أدركت أننى أسمع غناء خافتاً ...

نظرت فى الظلام إلى جمال وهمست :

« هل ترى هذا الشيء ؟ شجيرة فى وسط القرعة ؟! »

صمتت قليلاً .. ثم قال بلهجة ذات معنى :

« تجاهلها .. لن يحدث شيء .. »

ونظرت لمحمد فوجدت شفتيه تهتران .. كان يقرأ بعض قصار السور القرآنية ..

ماذا يحدث ؟.. هذا الغموض مخيف ...

بدأنا بمقترب من الضفة الأخرى ، فوثب محمد إلى الأرض المظلمة ومد يده يساعدى على الصعود .. جهد فظيع كى أتسلق ..

اخيراً مشينا وسط المزروعات السوداء ، إلى حيث كانت نار مشتعلة فى (قوالج) النرة .. وهناك جلس (عبد المعطى) الفلاح الذى يستأجر أرضاً فى العزبة ، وكان قد أعد لنا النار وبدأ فى شئ بعض الذرة مع الشاى بالنعناع .. باختصار كل ما يجعل الحياة راحة .. بينما جلس جوارنا يراقبنا فى رضا ويدخن الجوزة ..

بعد رشقات من الشاى بدأت أشعر بانتعاش ، وبأننى لست خائفاً لهذا الحد من رحلة العودة ..

سالت محمداً عن هذا الذى رأيناه فى رحلتنا إلى هنا ، فالتفت إلى (عبد المعطى) وطلب منه أن يحكى . كانت الوجوه تتوهج فى اللهب فتشعرك بالعرب .

نفث عبد المعطى سحابة كثيفة من المعسل ، ثم قال بصوت مبجوح :

« لا بد أنكم رأيتم المزبيرة .. اللهم احفظنا » .

حاولت أن أنطق الاسم بصعوبة :

— « مزيرة ١٩ »

— « نعم .. مزيرة .. هي الجنية التي تسكن هذه التربة .
إنها تسبح في الليل باحثة عن أى شاب يصطاد أو يمر بقربها ،
تأديه وتغنى له .. لو لحق بها فلسوف تجنّب تحت الماء ليغرق
وفى الصباح يجدون جثته . أما لو نجح فى أن يقتلها »

قال جمال ضاحكاً :

— « لو نجحت فى قتلها فلسوف تجد معها طاقة الإخفاء ،
هكذا تقول الأسطورة . بما أن أحداً لم يجد طاقة الإخفاء بعد
فإن بوسعك فهم أن أحداً لم يقتلها ! »

بدأت لى القصة شبيهة جداً بقصة النداهة ... النداهة تنادى
تحت الببوت ليلحق الشباب بها ، أو تنقمص شكل أحد رفاقك
وتقتنع بالخروج معها ليلاً ... تكتشف بعد قليل أن هذا ليس
رفيقك !!

لكنها بالفعل فكرة تثير القشعريرة ، دعك من أن ما رأيته كان
فعلاً أقرب لأثنى .. لكنها أثنى ضخمة لابد أن قامتها تقارب
أربعة أمتار ..

* * *

كل الثقافات البشرية فيها نمط عروس البحر التي تنادى الناس
ليلاً .. أنت تعرف عرائس بحر (أوليس) وكيف كن ينادين
البحارة ، حتى اضطر أوليس ورفاقه لأن يربطوا أنفسهم إلى
الصواري حتى لا يلحقوا بالنداء ويلقوا حتفهم .. قصص ألف
ليلة وليلة تعج بعرائس البحر — كما تعلم ..

يبدو أن عرائس البحر كن موجودات فى كل مكان فى القصص
الإغريقية . هن منتشرات كقطط الشوارع عندنا ، وكن فى رتبة
أقل نوعاً من الالهة .. أو هن نتيجة زواج إله مع أنثى بشرية ..
كن يغنين أغاني حزينة بعد ما خطف بلوتو برسفونه إلى مملكته
.. وكانت أغانيهن لا تقاوم .. تدفع لأن تسقط فى الشرك وأنت
سعيد .. هذا فن أنثوى جداً ..

أحياناً ينام البحارة فتتسلق العرائس إلى السفينة وتلتهمهم ..
سوف تجد الكثير من قصص عرائس البحر فى كتب المؤرخين
العرب . سوف تجد قصصاً حكاهم القزوينى والمسعودى وأغلبها
يتعلق بزواج بشر من عرائس بحر .

فى ألمانيا تجد أسطورة لورالاي وهى أسطورة قوية وراسخة
جداً .. (لورالاي) لا تغنى لكنها تفرد شعرها كالشباك لتسقط
فيها السفن ..

هل تذكر (الحطمة) ، القصة التي سمعتها في قصص وراء الباب المغلق ؟ .. أعتقد أنها قريبة جدًا من المزييرة ..

كعادة العنماء في هدم كل ما هو ساحر ، يقولون إن القصة كلها تتعلق بالفقمة .. هذه تظهر في الظلام والأمواج لبحارة أنهكهم الصراع وأنهكهم الحرمان من الأنثى مع طول الرحلة ، لذا يعتقدون أنهم يرون فتاة بارعة الحسن نصفها العلوى امرأة والنصف السفلى سمكة ..

كلها قصص تتراوح بين المسلية والمخيفة .. لكن لا تنكر أن جو (المزييرة) مفزع فعلاً ..

* * *

المزيد من أكواب الشاي الصغيرة بالنعناع .. الكثير من اكواز الذرة ..

إنها الواحدة بعد منتصف الليل .. خليط لذيق من النعاس والقشعريرة .. الشعور ببرد خفيف .. رائحة المعسل من ناحية (عبد المعطى) ..

في النهاية قلت - وأنا أحاول بعث الروح في قلمي التي صارت عث نمل :

- « أعتقد أن وقت العودة قد حان » .

هكذا عدنا نقطع المساحة المظلمة ، لا نعرف حقاً ما تدوس عليه ولا أين أنت .

المنحدر الرهيب المتجه للماء .. هذا الكشف اللعين الخافت لا ينير أى شيء .

أخيراً ينتظرنا القارب وهو يتأرجح بلا توقف .. أمسك جمال بالمجداف وبدأ يضرب الماء الأسود .. لا أرى شيئاً تقريباً ؛ ولهذا أنظر للنجوم في السماء ..

- 3 -

ساد الصمت .. بينما القارب يشق الماء المكسو بورد النيل ..
لهات جمال وأنفاس محمد الثقيلة . أحب هؤلاء المهندسين
العضليين الذين يقدرّون على العودة بك لسط النجاة ..

صوت الماء .. صوت المجدافين .. صوت الأنفاس ..

لا أعرف ما حدث ولا كيف ..

هناك شيء جعل القارب يرتج بقوة ، ثم يدور حول نفسه
ليمارس مع جسدى أعنف قوانين الطرد المركزي التى هى فى
الحقيقة قصور ذاتى . وكان وضعى حرجاً فعلا على الحافة
بالضبط .. فعلت ما يفعله أى شخص لا يجيد التحكم فى جسده ..

وجدت أننى أنحدر ..

وفى لحظة وجدت نفسى وسط المياه المظلمة . لا أراها لكن
أشعر ببردها وثقلها .. عقلى يخبرنى بشيء واحد فقط .

« أنت سقطت ! »

أهوى لأسفل وسط ما شعرت كأنه أعشاب مائية أو جذور
عامة ثم ضربت قدمى الطمى فى القاع ... ركلت القاع فارتفعت
من جديد نحو السطح .. هذا هو سيناريو الغرق المعتاد إلى أن
تمتلى رتى بالماء . أنا لا أسبح بل أطفو كجثة غارقة ، لكن هذه
المياه لا تسمح بالطفو .. تختلف تمامًا عن مياه البحر ..

قلت لنفسى إنها النهاية وأنا أهوى للقاع ثانية ..

ثم ارتفعت .. ظلام .. لا أثر للقارب ..

فتحت فمى لأصرخ .. لكن الماء الآسن ملأ فمى ..

ما لم أعرفه وقتها هو أنهم لم يلحظوا سقوطى للمرة الأولى ..
كانت هناك دوامة ، لهذا أنهمك جمال فى السيطرة على
المجداف .. بينما حاول محمد التماسك .. لم يلحظ أحدهما صوت
(طششششش) العالى وكان الظلام الدامس يمنع رؤية أى شيء ..

كنت أموت ..

أعتقد أن نقص الأكسجين بدأ يعثب بدماعى .. بدأت أغيب عن
الوعى ودعوت الله أن تكون النهاية سريعة ..

هنا شعرت بتلك اليد الصلبة تمسك بقميصى ..

قوة غير عادية تجرني ..

وهنا فقدت الوعي .. ظلام ..

* * *

كنت ملقى هناك على أرض صلبة .. مبتلاً ككلب صغير في
يوم مطر ..

أسعل فينبعث الماء من كل فتحات وجهي ، فلولاً معلومتى
التشريحية لقلت إنه يخرج من عيني ..

الظلام من حولى .. ضوء النجوم الشبيه بثقوب فى جدار
الكون ..

نهضت بصعوبة وتقبّلت الكثير من ماء التربة بمذاق
الطلى ..

ثم جلست .. أين أنا ؟! هذا لسان من الأرض يبرز وسط
التربة .. لا شك فى هذا ..

عيناى متعادان الظلام نوعاً .. هنا أرى أمامى فى الظلام هذا
الشكل ..

امرأة عملاقة يبرز نصفها العلوى فقط من الماء .. أدرك
بسهولة أن عينيها مشعتان .. لون أخضر فوسفورى مخيف ،
وأرى شعرها المنتفش الذى يوحى بأنها أنثى .. لكنى لا أرى
ملامحها ..

أردت أن أتكلم لكن الكلام احتبس فى حلقى ...

وأدركت فى هلع أنها تغنى .. لا شك فى هذا .. ترنيمة مبهمه
خافتة لا تتبين أى حرف منها لكنها مسموعة ..

المزيرة !

هل هى من جذبنى للماء ؟ .. هل هذه هى النهاية ؟ لماذا لم
تتركنى للموت إذن ؟ .. هل تتصرف مثل التمساح الذى يجذب
ضحاياه ليدفنهما فى الطين حتى تتعفن ويقتر على مضغها ؟

أدركت أن هذا الشيء المرعب يحمل شيئاً فى يده ..

طوحه فمقط جوارى ..

عندما دفقت النظر رأيتها تستدير . تبعد .. ومع ابتعادها إلى
قلب الماء كانت تغطس أكثر فأكثر حتى توارت نهائياً ..

— « هناك أسطورة أخرى حكاها لى عبد المعطى منذ زمن .. هناك فلاح قتل زوجته خنقاً ثم تخلص من جثتها فى هذه الترعَة .. حدث هذا منذ عقود عديدة . قال البعض إنهم يرونها من حين لآخر تسرى فوق الماء . طبعاً لا أحتاج لقول إنه خنقها بالتلفيعة .. والآن هل يقودنا هذا لتفسير ؟ »

قال محمد مفكراً :

— « لا أؤمن بالأنشباح .. هل تعرف ما أفكر فيه ؟ .. لربما كان هناك نوع من الكائنات الغامضة يعيش تحت هذه الترعَة .. ربما يجد لنفسه موطناً فى الأوحال . ويبقى هناك فى وقت الجفاف . لربما كان هذا هو الكائن الذى قابلناه مرتين هذه الليلة .. ولربما وجد هذه التلفيعة بالصدفة .. »

قلت آه وأنا أجرع لشأى الثقيل السلخن الذى أعده (جمال) لى :

— « النظريتان جذيرتان بالتأمل .. لكن هناك نظرية لم تذكرها وأميل لها .. »

— « ما هى ؟ .. »

شفطت شفطة من الشأى وقتلت :

— « إن (المزبيرة) هى ما قبلناه فعلاً ... لكنها ليست كائنات قاتلاً كما يحلو للأساطير أن تتصور . »

وساد صمت ثقيل ..

بدأ ضوء الفجر يتسلل للغرفة . عندها قررت ومحمد العودة لدارينا ...

- 1 -

يؤمل دنيا لتيقى له ..

فوافى المنية قبل الأمل

حنيثا يروى أصول الفسيل ..

فعلش الفسيل ومات الرجل

(سبويه)

* * *

أين الكاهن الأخير ؟ أين (هن تشو كان) ؟

أفتقده كثيرا في هذه اللحظات .. لقد كان خير صديق لي
منذ قابلته مذعورا كقط في ذلك المخزن في قريتي لا يعرف
أى شيء . ثم عرفت أنه يعرف الكثير جدًا ...

أتمنى لو رأيته ولدعوه بالخير ...

في فيلم (أشياء للحياة) بطولة (ميشيل بيكولى) : مات البطل
في حادث سيارة .. أظهره المخرج بسبح في المحيط .. يرى
سفينة تقترب منه . على السفينة يرى وجوه أمه وزوجته
وحبيبته وصديقه .. كلهم يضحكون ويلوحون له ويلوح لهم في

(١)

أسرتنا

مرح .. يدنو منهم أكثر ، لكن السفينة لا تتوقف ولا تلتقطه ..
تبتعد وهم ما زالوا يلوحون له . هنا يدرك الحقيقة المرعبة :
حياتهم مستمرة من دونه . يتبدل وجهه الى الدعر والحزن .. ثم
تخور قواه فينزلق لأسفل بهبط ...

اليوم .. هناك سفينة عليها (ماجى) و (عزت) و (كاميليا)
(هن تشو) كان وكل أسرتي فى كفر بدر .. هذه السفينة تبتعد
وهم يلوحون لى .. لكنهم لن يلتقطوني ..

وفى القاع تنتظرني أسرة أخرى صغيرة لطيفة من (لوسيفر)
(ليليث) و (بهموت) و (أبراكساس) و .. و

تناولت المصحف الصغير جوار الفراش ورجحت أقرأ ...
بعد ساعة بدأ جفناي يثقلان ..

لا أدري متى دخلت (ماجى) الغرفة . تمضى معظم وقتها هن
وهذه إشارة واضحة : أنت ستموت .. لن أتركك حتى تقضى
نحبك .. لو كانت مطمئنة لعادت لأسكتلندا ..

تنشق الأزهار التى جلبتها بجوار فراشى ، برغم أننى أخبرتها
مراراً أننى أمقت الأزهار ..

تجلس جوار الفراش وتبتسم . ثم تبدأ فى الغناء بصوت
رقيق خافت ..

صوتها يحملنى لأعلى .. لأعلى ..

هناك مكان ما . فى زمن ما .. ليس فيه ألم ولا حنين ..

كنت أحلم ثم بدأت الرؤيا تتعكر بفعل كابوس ..

كنت أرى د. رتشارد كامنجر ...

* * *

أيها الموت .. إن خادمك على الباب .

لقد قطع بحار الغيب وجلب نداك إلى بيتى .

إن الليلة مظلمة وقلبي يرتجف من الخوف ..

غير أننى سوف أخذ المصباح ، أفتح بوابتى وأنحنى له مرحباً .

إنه رسولك هذا الذى يقف عند بابى . سوف يعود إليك منجزاً
المهمة ، تاركاً وراءه ظلاماً دامساً ..

وفى بيتى المنعزل ساكون أنا القربان الأخير الذى أهديه لك .

(طاعور)

* * *

أنتم تذكرون لا شك تلك التجربة المخيفة التي كان د. (كامنجز) ينوى تنفيذها ..

محاولة إعادة إحياء مومياء الكونت (دراكيولا) كما يزعم هو ، والتي جاء بها من ترانسلفانيا ..

كان يؤمن أن هناك من يكرر المحاولة كل مئة عام .. من ثم يظهر الكونت وينتشر عقيدة مصاصي الدماء ، إلى أن يموت بيد شخص لم يثلوث ..

الحقيقة أنني كنت مستجداً في تلك الأوقات ، ولم أكن ذا خبرة تقريباً ..

ثم جاء موعد التجربة فتمت . أيقظتني ابنته (كاترين) لتخبرني أن البيت خال .. أبوها وأمها وضييفهم د. (لوفرسكي) اليهودي ليسوا بالبيت . لقد صار على كاهلي أن أقوم بالطقوس المخيفة .

جربت وفشلت .. أو هذا ما بدا لي الفكرة هي أن (كاترين) راحت تصحك في توحش ، ثم غمست إصبعها في دلو الدم ولعقته .. بدا لي أنها تحولت لمصاص دماء فعلاً . فهرعت أفر من المكان ، وكان أقرب النظريات لي هي أن روح

(مصاص الدماء) تقمصتها وقتلت باقي الأسرة .. ربما هي مزحة ثقيلة من (كامنجز) ... ربما قتلها أبوها عندما تحولت ! لا أرى حقاً ..

فيما بعد ، اختفى د. (ريتشارد كامنجز) من حياتي تماماً .. لم يرد على خطاباتي ، وعرفت أنه هاجر إلى أستراليا مع أستراليا .. هذا ما قيل لي ، ولو كان صحيحاً فهو ما زال حياً ..

ظلت أسئلة كثيرة تحوم حول هذا الموقف .. ماذا حدث بالضبط وما مصيره ؟

— 2 —

راح المغنى ينشد مستخرجاً ذلك الصوت الأجلح الغريب من أعماق حنجرته .. لا بل من أعماق روحه . كنت أمت (الروك اند رول) بشدة وأجده سخيلاً ، لكنى كنت مضطراً للحضور لأن (هارى شيلدون) أصر على هذا ..

هل تذكر (هارى شيلدون) ؟ صديقى الأمريكى الوسيم قوى البنية والمندفع كالمطوربيد لم تكن زوجته معنا لأن المرء لا يصحب زوجته لتلك الأماكن ..

كنا فى (ميامى) ، وكان هناك صخب شديد وزحام من النوع الذى يجعلك عاجزاً عن التنفس ! الكل يرقص . الكل يتمايل .. الكل فى حالة جنونية تذكرك بحفلات (الزار) عندنا .. هذا علاج نفسى على أعلى مستوى كما هو واضح .. معظم الناس يستعملون الإسيانية ، وهذا شيء شائع فى (ميامى) ..

رائحة العرق .. رائحة التيف ..

مطرب (الروك) يقف فتأخذاً ذراعيه ثم يثب فوق الناس كأنه يثب من طائرة .. هذا هو أسلوب (الملاحه فى الزحام) المعروف .. تتلقفه الأبدى وتطوح به فى الهواء عدة مرات ثم تنفقه للمسرح ..

ثم رأيت مطربة (الروك) الحسنة ..

امرأة بارعة الحسنة تلبس ثياباً جلدية ضيقة ، وقد ملأت ذراعيها بالوشم وهى تمسك بالميكروفون وتصرخ بجنون .. الحق أنها أشعلت المكان وسط الدخان ووهج الليزر ..

قال لى (هارى) وسط الصخب :

« كاتالين كلفر .. بريبيبيبيبي .. أباب »

كانت أننى تدق من تلقاء نفسها ، لذا دنوت منه أكثر لأسمع بشكل أفضل :

« كاتالين كامسحر .. بريطانيه .. يعيشها الشباب »

هزأت رأسى موافقاً ثم تلعت الحفل ..

ولكن .. لحظة .. (كاتالين كامسحر) ؟ .. هل يفسر هذا الشعور الذى داهمنى بأن وجهها مألوف برغم كل الأصباغ التى وضعتها ؟ .. الفتاة البريطانية المحتشمة الهادئة تغيرت جداً .. برغم هذا لا تختلف كثيراً .. لن أنسى هذا الوجه . كانت فى سن الثامنة عشرة وقتها .. اعتقد أنها اليوم على أعتاب الخامسة والثلاثين ..

ولكن .. هل هي حقاً؟!

كيف صار هذا؟ ومتى؟!

حاولت أن أدنو أكثر وسط هذا الصخب .. أشق زحام الشباب المجنون الذى يدخل الماريجوانا . كانت هي على المسرح راقعة على ركبتيها وتغنى كأنها تصنى ، وهو وضع شهير لدى مطربي الروك ..

هنا رأيت عينيها الرماديتين الزرقاوين تنظران لى عبر هذه المسافة وتتسعان ..

لقد تذكرتلى

معنى هذا أنها هي فعلاً ..

كنت أتمنى أن أتكلم لكنها لن تسمعنى . ولا فرصة للاقتراب أكثر . قال لى (هارى) - وقد لاحظ توترى - إن بوسعى أن أقابلها فى غرفتها بعد العرض .. شئ كالذى يفعلونه فى الأفلام العربية فى الكباريهات ..

هكذا فى ساعة متأخرة من الليل ، انتهى الحفل وحطمت الجيتار الذى تحمله كالعادة ثم هرعت إلى الداخل . هرعت مع

(هارى) إلى خلفية المنصة .. هارى يجيد استعمال الرشوة فى الحصول على ما يريد .

على باب غرفتها قلت لهارى متوسلاً :

« أريد الانفراد بها .. لو كنت ترغب فى العودة حالاً فلنتفعل ، وأنا سأعود بسيارة أجرة » .

نظر لى فى خبث .. لم يعتد أن يرى رجلاً متحمساً لهذا الحد . لابد أنه قال لنفسه إن هناك هرمونات ما زالت حية لدى رفعت إسماعيل .. لو كان لدى الأمريكيين تعبير مثل (هع هع .. ماشى يا سيدى) لقاله ..

أشعل لفافة تبغ ودرس يديه فى جيبي سترته ثم انصرف ...

قرعت الباب مراراً فسمعت ذلك الصوت المبحوح يقول :

« من ؟ »

من أنا ؟ ماذا أقول ؟

« أنا الدكتور إسماعيل .. رفعت إسماعيل .. أعتقد أننى كنت صديق ابيك منذ .. منذ سبع عشرة سنة تقريباً »

نظرت لى كاترين فى رعب عندما فتحت الباب وهتفت :

— « أنت من دون الناس ؟ .. »

— « وأنت من دون الناس ؟ .. »

ثم أنها أفسحت لى فرجة الباب كى أدخل ..

كان هناك جو عام من الحرج . هذا متوقع .. آخر مرة التقينا فيها كان هناك تابوت برقد فيه (كونت دراكيولا) ، وكانت تلحق الدم وتلمع منها رائحة الكبريت .. لا أعتقد أن هناك زوجين مطلقين شعرا بهذا الحرج لادى لقاتهما بعد أعوام ..

قلت لها وأنا أتأمل الغرفة :

— « كاترين كامنجر .. دهر قد مضى على لقائنا وعلى تلك الأمسية .. التقينا بأغرب الصدف الممكنة .. »

(تعرفه فى الكواليس بلا مرأه واحده ؟ .. كيف تسعد للمسرح إذن ؟)

كانت تضع طبقة سميكة من الماكياج جديرة بمطربة روك . لم يكن هذا زمن التفتيح Piercing لهذا اتدهشت جدًا لما رأيت

خرزة فى حاجبها وخرزة فى شفتها السفلى . بدا لى هذا شيطانيًا .. كما أنها كانت غارقة فى العرق بعد الحفل مما أذاب هذا كله ..

(يصع حالونا كاملاً من العطر .. كل شيء معطر بلا تحعط)

أشعلت الغافة تبغ ونفثت فى وجهى سحابة كثيفة وقالت :

— « أعتقد أنني مدينة بتفسير لك » .

— « فعلاً ... لقد كان فراقنا بطريقة عجيبة فعلاً .. كدت أموت رعباً .. »

انفجرت تضحك ثم قالت :

— « كانت دعابة عملية .. دعابة قاسية .. أبى ولوفارسكى قررنا أن يداعباك ولم يتوقعاً أنك بهذا الجبن .. »

— « أعترف لك كنت مفزعة فعلاً .. وماذا عن لعق الدم ؟ .. »

حكى لى عن أستاذ الجامعة الأمريكى الذى علم تلاميذه شينين : دقة الملاحظة ، وعدم الاشمئزاز من أى شيء فى العلم . ثم خلط

مزيجًا من الكيروسين والزيت والعسل وتذوقه بإصبعه ومرر أنبوب الاختبار على التلاميذ لجرب كل واحد أن يلعق . اشماز أكثرهم وبعضهم فعل . هنا قال لهم . لو كنتم قد تعلمتم الدرس جيدًا كنتم أدق ملاحظة .. الإصبع الذى غمسته فى المزيج ليس هو الإصبع الذى لعقته !!

— « أنا كذلك لم ألعق الإصبع الذى غمسته فى الدم .. يسهل خداعك فى ظلام القبو وجو التوتر العام » .

— « ورائحة الكبريت ؟ »

— « هناك شموع وأعواد ثقاب .. إلخ .. »

نظرت لها مليًا ..

إنها تكذب .. حتمًا تكذب . لكن ما الحقيقة ؟

— 3 —

لماذا لم أبتعد ؟ .. لماذا لم أفر ؟

نفس السبب الذى جعلنى أظل فى القبو تلك الليلة وأجرى التجربة وحدى .. لابد أن أعرف وإلا فتك بى الفضول ..

قالت لى وهى تردى سترة جلدية برغم أن الطقس دافئ كمادة هذه البلاد :

— « هل معك سيارة ؟ »

— « لا » .

— « هذا حسن .. سنركب سيارتى » .

لماذا لا توجد مرايا جانبية فى السيارة ؟ .. هذا غريب فعلاً .

(نضع حالوتنا كاملاً من العطر .. كل شئ معطر
بلا تحعط)

كان هناك باب خلفى يقود لزقاق خال .. وهناك كانت سيارة رياضية رشيقة — لا أعرف الموديل — تنتظر . هذه طريقته للفرار طبعًا لأنها لن تخرج من الباب الأمامى .

ألقت نفسها في مقعد القيادة ثم طلبت منى أن أركب ..

انطلقت السيارة في شوارع (ميامي) .. الظلام والأضواء ..

هذا هو شارع (أوشين در) وهو من أجمل شوارع المدينة حيث أروع مجموعة من الفنادق في (فلوريدا) كلها . برغم هذا الإبهار أمقت الولايات المتحدة فعلاً .. ربما بسبب هذا الإبهار كبيرة جداً .. حديثة جداً .. سريعة جداً .. غالية جداً ..

سألتها وهي تنهب الطريق :

— « فتاة بريطانية خجول تعيش في ضاحية بريطانية ، واليوم مطربة (روك) أمريكية يعشقها الشباب .. رحلة طويلة جداً !! »

قالت — وهي مستمرة في القيادة :

— « أنت لا تعرف بالطاقات البركانية التي قد تكون لديك .. لقد رحلنا إلى أستراليا وحاولت التأقلم فلم نستطع ، ثم قرر أبي أن يأتي للولايات .. اندمجت أنا مع بعض فرق (الروك) ثم اكتشفت أن هذا ما أريد عمله طيلة حياتي .. »

كتب أرمق الطريق .. وأختلس نظرات للمرأة التي تريك خلفية السيارة .. لا أقدر على توجيهها نحوها لكن بالفعل أتمنى أن أرى ما سينعكس فيها ..

عدت أسألها :

— « هل تزوجت ؟ »

— « لا .. وأنت ؟ »

— « بالطبع لا .. وماذا عن أبوك ؟ »

قالت ضاحكة :

— « سوف نزوره .. لا تقلق !! .. »

فيما بعد عرفت أنها تعبر منطقة الشط الجنوبي ، أو ما يطلق عليه الأمريكيان كالعادة — (SoBe) . أقدم مناطق ميامي .. لكنها حديثة البناء حسنة التنسيق ، والسبب أنها دمرت تقريباً بالكامل عام 1926 بسبب إعصار مريع ثم بنيت من جديد ..

أخيراً اندفعت عبر شوارع جانبية ..

في النهاية وجدت بيتاً صغيراً ليس حديث الطراز جداً .. حديقة جميلة لكن من الواضح أن أحداً لا يعنى بها .. هناك شجرة عتيقة عجوز ، وهناك مصباح واهن معلق جوار الباب وهناك ممر بين الأشجار يقود لهذا الباب .. باب قديم من خشب

البلوط من الطراز الذى يضعون جواره مقبضاً للدق على شكل قبضة يد . تعرف هذا الطراز طبعاً .

فتحت الباب ثم دعتنى للدخول .. وصاحت منادية :

— « داد .. هناك ملجأ لك ! »

داد ؟ بهذه البساطة .. الويل !

لم أتصور لحظة أن د . (ريتشارد كامنجز) سيظهر فى حياتى من جديد بهذه السرعة والسهولة . لكنى عرفت أنها محقة .. كان هناك درج يقود لطابق علوى من البيت . ورأيت ذلك الكهل الوقور الذى يلبس روباً قصيراً حريراً تحته ربطة عنق ، يهبط فى الدرج ..

لم يتقدم فى العمر عن آخر لقاء ، برغم أننى أبدو كمن شاخ خمسين عاماً ..

هتف غير مصدق :

— « رفعت !! أيها الشيء القديم ! أنت ما زلت حياً ؟! »

هذا الرجل يحمل لى ذكريات عديدة .. بالنسبة لى هو أول ضربة هوت على سد ذكريات ما وراء الطبيعة ، وبعدها صرت أنا أنا .. لا أعرف إن كنت أشكره على هذا ؟

هؤلاء القوم يعيشون فى بركة من العطور الفاخرة .. لا أعرف السبب ..

راح يثرثر ..

حكى لى عن طقوس مصاص الدماء التى كنا نرتب لها .. قال إنه أدرك أن الطقوس فاشلة فطلب من (كاترين) أن تداعبنى دعابة أخيرة وتظاهر بأنها تحولت لمصاص دماء . قال إننى برهنت عن خنغ شديد وفررت كالفئران .. قال إنه لم يتوقع قط أننى بهذا الجبن . بعد هذا سافرت الأسرة كلها إلى (ملبورن) وقام بالتدريس عدة أعوام ..

— « سئمت أستراليا . بلد جميل آمن لدرجة الملل .. لم أتحمل أكثر وأخذت أسرتى وانتقلنا إلى الولايات »

كل هذا جميل .. لكن لم أستطع وضع كلماته فى موضعها . كان متحمساً للتجربة ووضع كل رهان حياته عليها وأعد لها كل

شيء ، وفي اللحظة الأخيرة قرر أنها سخيقة وقرر أن يدبر لى مقلبا . هذا يبدو لى غريبا .. الحياة - وأنت توافقتى حتما - لا تسير هكذا .. الناس لا يتصرفون هكذا ..

تقضى حياتك محاولاً تحقيق فكرة ما ، وفي اللحظة الأخيرة تقرر أنها فكرة فاشلة فتتنسى الأمر وتقرر عمل دعاية فى شخص آخر ... مستحيل ..

دعيانى للعشاء فاعتذرت وإن وعدت بأن ألبى الدعوة غدا ..

— 4 —

قضيت النهار كله مع (هارى) فى (إيفرجليدس) أو ما يطلقون عليه (نهر العصب) ، وهو حديقة وطنية وحديقة للحيوانات النادرة .

سمع قصتى كلها ، فكان رأيه أن أتناسى هذه الاسرة تمام .. لكنى كنت مهيدا بأصفاة قوية من الفضول .. لم يكن يوسعى الرفض .. كل تجاربى مع (كامنجر) تضعنى فى هذا الموقف .. قلت له :

— « سوف أذهب للعشاء » .

— « هل أتى معك ؟ »

قلت فى تصميم :

— « لا أعتقد .. لم يدعك أحد . هذه نقطة .. ولن يكونوا على راحتهم وهذه نقطة أخرى » .

حصل منى على العنوان بدقة ، وهذا لو لم اعد الى داره فى موعد محترم ..

وعندما جاء المساء قصدت الدار التى حفظت مكانها .. يشبه الأمر ليلة مماثلة مررت بها منذ أعوام طويلة . لكنها كانت فى إنجلترا وليس الولايات ..

رحبت بى كاترين .. كانت هذه المرة تلبس ثوباً أثوياً عادياً بدلاً من الثياب الجلدية الشيطانية تلك .. أما أبوها فكان يلبس بدلة سوداء أنيقة ، وفوجئت أن زوجته ما زالت حية .. رحبت بى بحرارة ثم اقتادونى إلى المائدة ..

لاحظت هذه المرة أنه لا توجد أية أيقونات دينية .. كانت هذه الأسرة تضع صوراً للمسيح والعشاء الأخير وتعلق نصف دسنة من الصليبان . ماذا حدث كى يكفوا عن ذلك ؟ هل فقدوا إيمانهم فجأة ؟

لماذا لا توجد مرايا فى هذه الدار ؟

جلست إلى المائدة ، وجلست كاترين جوارى .. ذهبت السيدة للمطبخ ثم عادت حاملة عدة صحاف من الطعام تفوح منها رائحة طيبة ..

جلسوا جميعاً حولى وراحوا يغروننى بأن أكل بشهية ..

كل هذا جميل .. لكن لماذا لا نأكلون ، تقريباً ؟ .. يكتفون بجرعات بسيطة من النبيذ ولا يمسون الطعام ، بينما أنا طبعا أكلت بشهية ولم أمس النبيذ .

رحت أتأمل الانعكاسات على الكنوس .. على أدوات الطعام الفضية ..

فى لحظة .. لم أعد أتحمل أكثر ..

ألقيت بالشوكة والسكين على المنضدة وقلت فى حسم :

— « د. ريتشارد .. أعتقد أنه لا داعى لمزيد من العث .. صورتكم لا تنعكس فى أى شىء .. أنتم مصاصو دماء ! لقد تحولتم جميعاً فى تلك الليلة » .

ساد الصمت .. ثم ابتسم وتبادل نظرة مع زوجته ..

قال لى — وقد رأى الرعب فى عيني :

— « هل هناك ما يحميك ؟ كيف تصارح أسرة من مصاصي الدماء بهذا وأنت فى بيتها ؟ »

لم يكن هناك ما يحمينى فعلاً .. تصرفت بحمافة ، لكنى قلت مراوغاً :

« بالطبع هناك طريقة للحماية .. إنها تحت هذه البدلة .
لو هاجمنى أحدكم فلسوف تكون العقوبة وخيمة . »
« لا داعى . لن يهاجمك احد . ولتعلم أننى لا اصدق
حرف مما تقول . عيناك تشيان بالخوف والكذب . »
ثم رفع كاسه وراح يرمى السائل الاحمر ويكلم :

« فى هائنا القديم قلت لك اننى أنك فى أن ما قيل عن
(مصاصى الدماء) حقيقة هناك من تحدثوا عن مصاصى
الدماء عند الفراعنة . سوف تجد مصاصى الدماء بقوة فى
الادبيات البابلية والاشورية لأميا . لامستو .. ليليث .. الاخوات
اسوسى نو مورموليسما (اسناب المخيفه) .. كلهن الشئ
داه . فى كل الثقافات السامية سوف تجد ذلك النموذج .. إنها
موجوده فى الاساطير الناسبه . الاشورية . العربية .. العبرية .
حتى العرب لديهم للهجه التى يقال نها كاس بحرج من
المسماير ليا ليمص دماء الناس . فى اليونانية نجد كلاما
عن (لامد) ارهسة التى كانت ملكة ليبيا . عند الاشوريين
كانت هناك الشيطانة (لاماستو) التى تقتل الاطفال الصغار ربما

وهم فى أرحام أمهاتهم ، وهى صورة أخرى من (ليليث) ..
الأمر مريب فعلاً ! »

كنت أعرف معظم هذا الكلام لكنى ظلت لا أفهم ما يريد قوله ..
أردف :

« لفظة Vampire ذات أصل سلافى .. (فام) معناها (دم)
(بير) معناها (وحش) ... إن أهم أساطير مص الدم موجودة
عند السلافيين .. تذكر أن (دراكيولا) رومانى .. لكن لفظة
Vampire دخلت إنجلترا وفرنسا عندما اشتهرت قصتان مخيفتان
عن (بلوجيوفيتز) و(أرنولد باول) ... الأول ألمانى مات فى
الثانية والستين لكنهم يقولون إنه عاد مرتين ليطلب طعاماً من
ابنه . رفض الابن فوجدوه ميتاً فى اليوم التالى .. وعاد
(بلوجيوفيتز) مرة أخرى ليفتك ببعض الجيران . الثانى فلاح
وجندى متقاعد مات من ثم بدأ الجيران يموتون وقد خلت عروقهم
من الدماء .. باحث فرنسى محترم هو (أوجستين كالميه) كتب
عن (مصاصى الدماء) عام 1746 وأقر أنهم موجودون .. هكذا
صارت كلمة (مصاص دماء) على كل لسان .. عام 1816 قدم
(جون بوليدورى) قصة (مصاص الدماء) التى كرست فكره

مصاص الدماء الأرستقراطي في الأذهان . وقد استوحى الشخصية من الشاعر البريطاني لورد (بيرون) . حتى في العصر الحديث هناك كتاب ظهر عام 1928 اسمه (مصاص الدماء : أصله وقصته) . للكاتب البريطاني مونتاج سامرز .

قلت في عصبية وقد نفذ صبري :

— « ما لزوم هذه المحاضرة الطويلة !؟ »

— « أردت أن أوضح لك أن الأمر جزء من الطبيعة . ومن العسير أن تقاومها .. محاولة إحياء المومياء التي قمت بها لم تحي المومياء ، لكنها جعلت روح (دراكيولا) تحل بنا جميعاً .. كلنا تبدلنا في تلك الليلة ، والحقيقة أن تحولنا بدأ قبل الثانية عشرة بكثير .. كل منا في فراشه كان يحلم .. العرق يغمره .. يحلم أحلاماً شنيعة دموية .. يتقلب .. ينن .. يزار .. ولهذا لم نلحق بك في القبو ، ولو أنك فتحت غرفة واحد منا لشمعت رائحة الكبريت تؤذي عينيك ، وئرأيت كلاً منا في غيبوبة لكنه مفتوح العينين أحمرهما ، يفرق الزبد شفثيه .. من حسن حظك أنك لم تفعل . (كاترين) كانت تعلم ما يحدث لكنها قررت أن تتماسك وتم

التجربة . لكن الوقت تحرك وفي النهاية صارت مصاص دماء كاملاً مثلنا ، لكنك لم تتبدل » .

قلت في صوت كالهمس :

— « إذن كنت أنا محقاً » .

— « بالفعل كنت كذلك . وهذا مؤسف .. »

- 5 -

قبل أن أتكلم ، وجدت هؤلاء يقفون من حولنا ..

كانوا نحو عشرة ..

عرفت منهم د. (لوفارسكى) .. عرفت د. (وينسلو) وهو من
أصدقاء (كامنجز) .. عرفت كثيرين ، والأهم أنني عرفت (ما) هم .

فى الضوء الساقط من أعلى كانت الظلال تغمرهم .. لكنى
شممت رائحة الكبريت الخائفة ، ورأيت الهالات السوداء تحت
العيون والشحوب الواضح . أنا لست طفلاً .. رأيت مصاصى
دماء بعدد شعر رأسى (وهذا يدل على أن العدد ليس كبيراً)
لكنى أعرفهم على الفور ..

أى وجوه هذه ! بعضهم كان رأسه يميل على كتفه
كالمشنوقين . وتلك المرأة التى غطى الشعر وجهها .. على
طريقة الشياطين اليابانية (يورى Yürei) ، هناك طفل مخيف
فعلاً ..

أنا بطة ميتة كما يقول الأمريكان ..

مررت بمواقف مخيفة فعلاً ، لكنى - على قدر ما أذكر - لم
أوجد قط فى بيت مغلق مع كتيبة من مصاصى الدماء ..

قال د. كامنجز :

- « هذه هى أسرتنا الصغيرة .. أنت تعرف د. (لوفارسكى)
الذى شاركنا التجربة .. تذكر (وينسلو) (ومايكل) ... »

ثم أشار إلى كاترين :

- « كاترين العزيرة تخرج كل ليلة لتغنى مع حفلات الروك ..
تعود لنا بـرجل أحمر ثمل لا يدرك الورطة التى وقع فيها ،
ويكون هو حفلنا الليلي .. كاترين تعيش حياة صاخبة وتنعم
بوقتها .. »

قلت من بين أسناني شيئاً فقال لى :

- « ماذا تقول ؟ »

- « أنا لست ثملاً » .

- « لكنك أحمر .. هذا يكفينى ! »

قلت له .

— « إنها النصيحة القديمة .. لا تترك فتاة مصاصة دماء تأخذك إلى دارها ليلاً .. هكذا كانت أُمى تنصحنى » .

— « إن الكبار يعرفون مصلحتنا دائماً .. »

بدأت أفك ربطة عنقى كى أسهل لهم عملية الامتصاص ، فإنا لا أحب إطالة لحطاتي الأخيرة كما تعلم .. هذه ليست سيمفونية يجب الاستماع لها فى استرخاء ، وليست قطعة (كباب) لا بد أن تمررها على لسانك مراراً لتطيل تذوق طعمها .. لكن (كامنجز) رفع يده ليوقفنى :

— « أنت لا تفهم .. نحن لسنا سعداء .. »

نظرت له فى حيرة ، فقال :

— « تلك اللعنة التى أصابتنا جميعاً ، جعلتنا نفقد أبسط حقوق الإنسان : الحق فى أن يموت .. الحق فى أن يمشى فى الشمس وينعم بالربيع .. حياة الأطفاف هذه لا تناسبنا ، والمشكلة هى أننا مرغمون على أن نصنع كائنات أخرى مثلنا . أى أن بقاينا أحياء يؤذينا ويؤذى الآخرين . لهذا أردت أن تأتى الليلة ، ولهذا لن نفتك بك ولن نضمك لنا .. »

ثم وقف كأنه على خشبة مسرح وسط الأضواء وقال :

— « يجب أن ترى كيف ننام .. »

مشيت وسطهم كأنى أمشى نحو طبلية المشنقة . هناك ممر جانبي رطب مظلم ثم درجت تفود لقبو .. هناك دائماً قبو .. ظلام دامس لكن أحدهم أضاء مصباحاً كهربياً واهناً بعث جواً من الوحشة فى كل صوب .

رأيت التوابيت .. الصناديق الخشبية الكنيية متراسة بجوار الجدار . كلها مفتوح وقد بدا بوضوح أنها مبطنه بالحبر ومريحة جداً ..

هؤلاء مصاصو دماء تقليديون جداً .. يتصرفون كمصاصى دم فعلاً .. كنت أتوقع بعض التجديد ..

كان هناك ذلك التابوت المغلق الذى يخرج من تحت غطائه الكثير من القش .. هو الوحيد المغلق هنا ومنظره مألوف ..

قال د . (كامنجز) وقد رأى اتجاه نظراتى :

— « بالفعل .. صديقك معنا هنا .. أنت تذكر (المومبياء) التى

سرقناها من ترانسلفانيا . ذهبت معى إلى كل مكان ذهبت له »

ثم جلس على تابوت مفتوح ، والتف كل الموجودين حولنا ..
قال :

« كما قلت لك : حياتنا كئيبة ونحن غير فخورين بها على الإطلاق ، لذا فكرنا فى أن نخلصنا شخص لم يتلوث .. أنت هو الأقدر على ذلك .. لا أحد سوف يصدقنا أو يقبل القيام بهذا الدور » .

نظرت له مذهولاً :

« هل تريد منى أن أقتلكم ؟ »

« وتخلص البشرية من شرورنا .. وتخلص أرواحنا » .

« وهل تعتقد أننا فى القرون الوسطى لأفعل ذلك ؟! »

قالت كاترين التى ظلت صامتة حتى هذه اللحظة :

« هذا سهل .. لا أحد يعرف أنك هنا .. لا أحد يربط بينك وبيننا . سوف يجد الجيران مجموعة من الجثث ولن يعرف أحد تفسير هذا اللغز .. »

تقدم د. (وينسلو) .. رأيت فى يده ذلك التودد الكريه المذنب ،
ومعه مطرقة ضخمة .. وقال لى :

« سوف يكون الأمر سهلاً .. سنموت أثناء يومنا . كل ما عليك هو أن تغرس التودد فى صدر كل واحد منا وتذقه بالمطرقة .. يمكنك أن تنجز المهمة خلال عشر دقائق » .

« والثوم وقطع الرأس ؟! »

قال كامنجز ضاحكاً :

« لا تصدق هذا الهراء فى السينما .. قطع رأس مصاص
الدماء وحشو فمه بالثوم .. هذا كلام فارغ .. الوسا كاف جداً » .

كنت أترنح شاعرًا بالحيرة ..

وجلست على تابوت خشبي بدورى شاعرا بالحيرة .

لابد أننى جلست طويلاً جداً . ثم بدأ صوء خافت يتسرب من
خارج القبو . النهار يقترب .. رأيت الموجودين يتحركون فى
صمت كأنهم أطياف . ثم يتجه كل واحد منهم لتابوت ليرفقه فيه .. ثم
يعقد يديه على صدره .. (وينسلو) . (كاترين) .. ثم دف منى
(كامنجز) وهمس :

« حان موعد السبات لنا .. فكر جيداً .. أنت تلقد عشرات
الأرواح .. ربما مئات » .

هنا سمعت ذلك الصوت ..

نظرت للخلف فرأيت التابوت المغلق الذى يتدلى منه القفل
يفتح ..

بد مأكلة تتحسس الحافة ..

صوت زفير يتعالى من الداخل .

هنا أدركت الحقيقة : يبدو أنهم نجحوا ! .. التجربة التى كانت
منذ نحو ربع قرن قد نجحت ..

ولماذا يصحو !؟ هذا ببساطة يدل على أننى ملوث ..

لست الشخص النقى الذى حسبته د . (كامنجر) ..

غطاء التابوت يرتفع

ضربات قلبى تتسارع وذلك الألم بولد فى صدرى مع شعور
واجف كأننى أهوى فى بلر مصعد .. لو فقدت الوعي هت لكانت
النهاية ..

استندت إلى الجدار حتى بلغت الدرج وتحملت على نفسى إلى
أن صعبت .. وجدت بشكل ما الردهة .. وجدت باب البيت .
فررت منه ..

ولم أدر كيف تسلق إلى داخل أحد التوابيت وتمدد ..

وفى اللحظة التالية وجدت نفسى وحدى مع أكثر من عشرة
مصاصى نماء نائمين !

* * *

ظللت لساعة عاجزاً عن اتخاذ قرار .. جالساً فى الضوء
الشاحب .

من المستحيل أن أقتل شخصاً .. خصوصاً لو كان هذا بغرس
وتد فى صدره ، لكن من قال إن هؤلاء أشخاص ؟!

يمكننى بسهولة أن أغادر المكان ولا أعود أبداً ، لكنى سأذكر
للأبد أننى المسئول عن أى جريمة أخرى وائى شخص يموت ..

ربما كان بوسعى إنهاء الأمر .. أنا سأقتل وحوشاً وبياراتها
الكاملة ..

لا أعرف متى ولا كيف وجدت الشجاعة .. ولا متى اتخذت
القرار ..

دنوت من أول تابوت وأخذت نفساً عميقاً .. قمت ببتيتب التوتد
بيد ترتجف ، ثم رفعت يدي بالمطرقة .. وحاولت ألا أنظر إلى
الوجه ..

ثم سقطت مينا .. أعشى سقطت فأقد الرشد ، فى الحقيقة ..

عندما استطعت ان أمشى قررت من المكان ..

قررت من الولايات المتحدة كلها . ولم أستطع نسيان تلك اللحظات . نسيان أننى لم أستطع تنفيذ مخططى ، لأننى ملوث . نسيان ان هناك اسره مصاصى دماء تعيث بحرية فى ميامى .

مرت على هذه اللحظة أشهر ..

ثم تلقيت خطابا من الولايات بخط مألوف يقول :

« ميامى فى ... »

« للمرة الثانية استطعت خداعك يا رفعت . للمرة الثانية أضحك من أعماقى كلما تذكرت ربعك بعد تلك التمثيلية القاسية . للمرة الثانية ثبت أن قلبك ضعيف جداً وأنت لا تفقه شيئا فى عوالم ما وراء الطبيعة . وأنت سهل الاتخادع ..

« لا تنكر أن المقلب الذى أعدته لك (كاترين) كان محكم فعلا ، وأن صديقنا النائم فى التابوت أدى دوره ببراعة .. امل أن نلتقى من جديد يوما ما ، وعندها أعدك أن أتصرف بشرف وأكف عن هذه الألعاب !

د. رينشارد كامسجر .. »

مزقت الخطاب فى عصبية .. هذا الرجل مصر على أن يجعلنى أحرق . فى كل مرة أهرب كالبهاء ثم يضحك هو الضحكة الأخيرة .. لقد نال منى فعلا . ليتنى أستطيع تدبير مقلب مماثل .. على أننى بدأت أهدأ مع الوقت وأفكر بهدوء ...

من جديد ، هذه دعاية بالغة التعهد . هل أعد كل هذه التواييت ليمارحنى ؟ وهل جلب كل هؤلاء الصيوف ليضحك ؟ وماذا عن المرايا والعصيات التى لا تعكس صوراً ؟ لا أظن ..

ترى .. هل كان كل شيء حقيقياً وفشل ببساطة لأننى ملوث ؟! أمر جدير بالاهتمام ..

سأعيش وأموت ويظل د. (كامنجر) لغزاً عاصياً على الحل .. للأسف لم يعد هناك وقت كاف لمعرفة الحقيقة .

- 1 -

جاءت د. كاميليا تزورنى ومعها هدية تخفف من آلامى ..

هذا كتاب يقارن بين الفلاسفة الغربيين فى عصر العقل ..

هدية ممتازة فعلاً . لم أندش من ذوقها الغريب فى الاختيار ،
لكن اندشت جداً من قدرتى على الخداع .. بعد هذا العمر
الطويل لم تفهم بعد أننى لا أطيق الفلسفة .. لكنى لم أجرو على
التصريح بهذا قط إلا عندما صغر سننى ، وصرت مراقباً غراً ..
تذكرون هذه القصة ؟ لقد ظللت أضعها لمدة طويلة جداً ولم
ينكشف أمرى قط . لا أدرى لماذا كنت أتذكر (يوسف وهبى)
فى ذلك الفيلم الذى يقتع فيه زوجته الشمطاء (مارى منيب)
أنه مخلص كالملائكة ، بينما هو أكبر وغد على البسطة ..

برغم هذا لست نادماً على معرفتها .. كانت صديقاً مخلصاً
متفتحاً .. (صديقاً) فأنتم تعرفون رأيى فى أنوثتها .. هى
مجرد صديق رائع ..

عمر كامل ضاع وهى تعتقد أن بوسعنا أن نقضى ما بقى من
عمر معاً ..

(س)

سر
الزنزانة

بالطبع لم يكن هذا وارداً .. وحتى هذه اللحظة هي لا تدرك أنني راحل فعلاً ، وأن هذه آخر أيام لي ..

قالت لي .. وهي شاردة :

« كنت لطيفاً جداً عندما كنت طفلاً أسخن لك الرضعة وأبدل الكافولة » .

قلت بصوت مبجوح :

« هل هذا مديح أم ذم ؟ هل يعنى هذا أنني لست لطيفاً ؟ »

قالت بيت الشعر الجميل :

« هذا مجاج النحل تمدحه .. وإن شئت ذماً فقل قين الزنابير » .

ثم اتجهت إلى الدورق المجاور للفراش فصبت لنفسها كوب ماء ، وشربته .. لم تعبأ بكون هذا كوبى أنا . قلت لها مازحاً :

« على فكرة .. السرطان ينتقل بالجراثيم . أنت فى خطر داهم !! »

نظرت لى ملياً ثم قالت بلهجة لم أسمعها من قبل :

« ليتنى أصاب بالسرطان بدلاً منك .. »

وقبل أن أفهم ما يدور ، طبعت قبلة على جبيني وغادرت الغرفة بسرعة .. أدركت أنها تمسح شينا سال من عينيها

لماذا تعقدون الأمور يا شباب ؟ لماذا تجعلون الرحلة صعبة ؟

القصة أبسط من هذا بكثير ..

طر يا طائر أبى الحن .. طر بعيداً على ..

* * *

لكن السفينة لا تتوقف ولا تلتقطه .. تبعد وهم ما زالوا يلوحون له . هنا يدرك الحقيقة المرعبة : حياتهم مستمرة من دونه . يتبدل وجهه إلى الذعر والحزن .. ثم تخور قواه فينزلق لأسفل ببطء .

* * *

كنت أرتجف من التأثير .. تذكرت موقفاً مماثلاً وقبلة مماثلة على جيبى ..

كان ذلك فى (ويلز) يتجسرا ..

كلامى اليوم عن باب .. هذا الباب الذى أتحدث عنه لم يكن فى مصر .. لم يكن فى مكان تعرفه .. الباب الذى أتحدث عنه لم يكن باباً خشبياً أو حديدياً ، بل كان أقرب إلى جدار سميك يهدم ولا يُفتح .. لكن الناس هناك كانوا يسمونه باباً ..

كان هذا فى كهف قرب قرية فى (ويلز) ..

كان الناس يمرون جوار الكهف ، ويتحدثون عن (خريولسن) الحبس هناك .. عن الساحرة التى أنجبته .. والتى أعدمته محاكم التفتيش هناك . وكيف دفنوها فيما يعرف بزنزانة (خريولسن) ..

كانت أشنع خبرة فى حياتى تنتظرنى هناك .. ربما كانت كل قصص حياتى فى كفة وهذه القصة بالذات فى كفة ..

لا أحب أن أحكيها ..

لكن الحين قد حان !!

عندما احترقت الساحرة أنزرت الناس بأن ولدها (خريولسن) سيعود بعد أعوام حين يفتح الزنزانة رجل أجنبى .. وما لم ينسه أحد هو أن المصائب لم تفارق القرية لحظة طيلة عمرها المديد ..

وبعد أعوام جاء مغامر إلى الكهف .. كان هذا بريطانياً يدعى د (هرى لستر) .. فتنته الأسطورة . وصمم على أن يجد رجلاً أجنبياً يفتح تلكم الزنزانة ..

كانت فكرته أن يناول الضيف المطرقة ، ثم يطلب منه أن يفتح الجدار بنفسه ؛ لأنه ضيفهم ..

طبعاً ما كان الضيف الأحمق ليعلم أنه أول دم أجنبى يدخل الكهف منذ سبعة أجيال .. حقاً لم أتصور أننى كنت هذا الضيف .. ان معلوماتى تقول : إن من يتكلم أكثر يدفع الثمن ..

لكن هل يوجد ثمن أعلى مما أتوى دفعه اليوم ؟

قلت من قبل : إنه فى اخر لحظة فى حياتى وعندما أوقن بالموت سأتكلم .. ليس قبل ذلك ..

بدأت بالقصة عندما

ما هذا ؟! هناك من يصرخ فى الرعدة .

نهضت من الفراش وفككت جهاز المحلول المطبق هناك ، ثم دسست قدمي في الخف وفتحت الباب ..

كانت الممرضة السهرانة تغطي وجهها وتبكي ، بينما راحت ممرضة أخرى تخفف عنها ، وكان هناك رجلا أمس .. أحدهما بدأ كأنه عاد من جولة سريعة ..

استندت إلى الباب وسألت :

« هل هناك شيء ؟ .. »

قال رجل الأمن بصيغة رسمية باردة وهو يتباطئ نراعي :

« عد للفراش يا جدو .. الممرضة تقول كلامًا غريبًا فلا تهتم .. »

قالت الممرضة التي صار وجهها متوحشًا كالنمر .. وانتثر شعرها وسقط الكاب من على رأسها :

« مصطفى .. قلت لك : إنني متأكدة .. كان هناك صبي مراهق يمشي على أربع .. يمشي على أربع كالكلاب ، واتجه نحو غرفة مريض سرط .. »

ثم ابتلعت لسانها لما تذكرت أنه أنا بالذات ..

هل تعتقد هذه الحمقاء أنني - وأنا الطبيب - لا أعرف دالي ، وأنصوّر أنها نزلة برد لا أكثر ؟!

صبي مراهق ؟! وابن ذهب ؟

قالت وهي ترتجف :

« لما صرخت ركض مسرعًا وتوارى في ركن الردهة المظلم البعيد .. كان المشهد لا يصدق .. هذا شيطان بالتأكيد .. »

قالت زميلتها وهي تربت على كتفها :

« لا عليك يا أختي .. أنت تعرفين أن المكان يعج بأرواح الموتى .. »

« أرواح الموتى تبدو كقطط سود ولا تبدو كهذا .. »

كنت أنا قد عدت للغرفة ..

أغلقت الباب وجلست على طرف الفراش .. شبح صبي مراهق .. هذا الشبح يخصني فعلاً .. هذا ملكي . أنا أعرف أشباحي بسهولة .

ولكن .. كنت أكلّمكم عن شيء آخر منذ دقائق .. ما هو ؟ ..
نسيت ..

لا عليكم .. تصبحون على خير ..

— « أنا أعلم أنه سيأتى يوم أضيع فيه هذه الأرض عن
ناظرى ..

إن الحياة تغادرنى فى صمت ، بعد أن تسدل على عيني الستار
الأخير ..

ومع هذا فإن النجوم ستلمع ساهرة فى الليل ، وسيسفر الفجر
كما أسفر أمس ، وستمتلئ الساعات كما تمتلئ أمواج البحر
حاملة الذات والآلام .. »

طاغور

* * *

جاء أحد عمال المستشفى لى فى غرفتى جالبًا خطابًا مغلقًا ..

كنت منهمكًا فى تدوين أحداث (أسطورة الرجال الذين لم
يعودوا كذلك) .. هكذا وضعت القلم وأمسكت بالخطاب ..

جميل .. يبدو أنني صرت من معالم هذا المكان لدرجة أنه
عنوانى الجديد. أمقت الخطابات طيلة حياتى لأنها تحمل مصيبة ،
لكن تلقى خطاب فى هذا المكان أمر يستحق أنلقى نظرة ..

بيد مرتجفة فتحت الخطاب فوجدته مكتوبًا بإنجليزية أنيقة ..
لكن لا أعرف هذا الخط ..

— « د. إسماعيل :

— « عرفت ببالغ الأسى أنك تواجه مضاعفات هذا المرض
الوبيل ، وقيل : لى إنه انتشر فى كل جسدك ، وأنتك تتلقى جرعات
هائلة من المسكنات دون جدوى . بالتأكيد هذا خبر مؤسف. لكن
أزعم أن عندى العلاج لك ، وهو علاج غير تقليدى كما لك أن
تتخيل .. سوف يزول الداء عن كل خلاياك وتعود كما كنت منذ
أعوام وأفضل. أنا أضمن لك هذه النتيجة.

— « لكن لكل شيء ثمنًا ... »

ابتسمت وقلت لنفسى :

— « موعنا هو الغد .. »

رحت أتأمل الخطاب فى شروء .. لا يوجد توقيع ..

ولا شعورياً تحسست موضع الكتاب حول خصرى . إنه

هناك ..

الخلاص من السرطان ومن الألم. هل هذا وعد حقيقى ؟ ولو
كان حقيقياً فهل أقدم على هذه المبادلة الخطرة ؟ .. هذا كتاب
خطير شرير . ومن الوارد أن يقع فى أيء غير أمينة ..

دعك من أن هذا الكتاب هو بوليصه تأملى الوحيدة ضد
لوسيفر .. لو لم يعد معى فلسوف ينسقى نفساً .. لن يقتلنى بل
سوف يمرح كثيراً ..

— « هناك الزيجسول الذى يلتهم طبقات الجلد ثم العضلات
ويترك الأعصاب ملتهبة حارقة حتى آخر لحظة ... هناك
الريموزا الذى يتم إدخاله فى قم الضحية .. تتزايد حرارته مع
الوقت حتى يتحول إلى نار محمية تشتعل فى أحشاء الضحية

— « حسن .. هذه هى لحظة بيع روحى للشيطان .. كان لابد
أن تأتى ، لكن كيف إذا كانت الشياطين تنتظر موتى وتتسلى
بقرقرة اللب والترمس ؟ .. لن تفسد هذه المتعة على نفسها ..

استطرد الخطاب :

— « كلا .. لن تبيع روحك للشيطان. لقد مر أوان عرض
كهذا .. أنا أعلم أن لديك كتاباً معيناً تحتفظ به ولا يمكن انتزاعه
منك . وبمجرد موتك سوف يفوز بالكتاب شخص معين لا ينتمى
لعالمنا. أعرف هذا. لكنى أرغب فى الحصول على هذا الكتاب هنا
والآن ..

— « العرض كما هو واضح : الكتاب مقابل نجاتك من
السرطان . أعرف أنك تحمل روح بطل ، وهذا البطل يفريك بأن
ترفض. لكنى أؤكد لك أنك لن تعيش سوى حياة واحدة ، ولا أحد
يترك الحياة حياً . انتهاز الفرصة ..

— « سوف أزورك فى المستشفى غذا ، وأتوقع أن تعطينى
الكتاب وتنال الخلاص .

هذا موت بطيء يستغرق عدة ساعات ... هناك ميدان الناكاخ التي
تقتحم الرأس من الأنف ، وتشق طريقها في جمجمة الضحية
حتى المخ مدمرة كل شيء تقابله .. »

إنه قريب مني يتشم كذئب مستعد للهجوم في أى لحظة
لو تركت العصا ..

لا أحسب أن هناك من يقدر على حمايتي منه سوى الله تعالى ،
لكن لا يوجد كائن أرضي يستطيع .. إلا بالطبع الكائن الأرضي
الذي يقدر على القضاء على هذا السرطان. لو فعل فهو يستحق
الكتاب .. لكن كيف أعرف ما لم أعطه الكتاب أولاً ؟

من صاحب الخطاب ؟

يصعب عليّ أن أسترجع من خيط ذكرياتي كل هؤلاء الذين
يمكن أن يرغبوا في كتاب كهذا ... عشرات الوجوه والقصص
والأشخاص .. لا يمكن تذكر أحد ، لكن على الأقل يمكن استبعاد
من يتكلمون العربية .. وهو بالطبع واسع العلم ، ويتصل
بالكائنات الشيطانية ، وهو ليس لوسيفر ..

سوف يأتي غذا ...

لن أشغل ذهني أكثر .. عندما ألقاه سوف أتخذ قرارى فوراً ..

سوف أنام و غذا أعرف الحقيقة ...

في القصة القادمة نستكمل أسطورة الأساطير —

(الجزء الثاني)

لاحظ أن الكتيب سيحمل الرقم 80 (2)

مشروع القرن الثقافي

روايات مصرية للجيب

في كل رواية ملعة دائمة

ما وراء الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والإثارة



و. وهاء الحسني

أسطورة الأساطير

لم يعد هناك المزيد من الوقت كي نرجع
الإجابات عن أسئلة أثرناها من قبل. الساعة تدق ..
والدقائق تتسارع ... وخلايا السرطان تبحث هنا وهناك في
عظام مضيقنا الممن ... أين د. كامنجر؟ ما هي المزييرة؟
من هو كراكوس؟ .. هل هناك أطنطنطس حقاً؟ .. أين بيت
بورني؟ .. أسئلة .. أسئلة .. أسئلة .. نعم .. حان الوقت
كي نجيب عن هذا كله. حان وقت الخلاق الأبواب المواربة.
وسد العيوب المتروكة في زحفتنا. د. رفعت
اسماعيل ياخذنا معه عبر أسطورة
الأساطير

العدد القادم

أسطورة الأساطير

(الجزء الثاني)

المؤسسة
العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة والإسكندرية

التمن في مصر 500

وما يعادله بالـ دولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

